مجلة الإسلام والتصوف

السنة الرابعة العدد الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة الإسلام والتصوف

مجلة أسبوعية تصدر شهرية مؤقتا
تصدر عن مشيخة الطرق الصوفية

"ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون"

صاحب المجلة
محمد محمود علوان
شيخ مشايخ الطرق الصوفية

رئيس التحرير
محمد صبيح

سكرتير التحرير
طه عبد الباقي سرور

الاشتراك السنوي
٦٠
في الجمهورية العربية المتحدة
٥
ثمن العدد
العنوان
مشيخة الطرق الصوفية
بميدان سيدنا الحسين
القاهرة
تليفون ٥١٣٩٣

العدد الرابع « السنة الرابعة » ٢١ ربيع الأول عام ١٣٨١ هـ — ١ سبتمبر ١٩٦١ م

ملهمات يوم الذكرى

لسماحة السيد محمد محمود علوان
شيخ مشايخ الطرق الصوفية ورئيس المجلس الصوفي الأعلى

« نص الكلمة التي أذاعها سماحته »
«من محطة الإذاعة اللاسلكية بمناسبة»
« الذكرى الخالدة »

باسمك اللهم وبحمدك ، تباركت صنائعك ، وعظمت آلاؤك ، خلقت عبادك حبا وكرمتهم فضلا ، ولم تخلقهم عبثا ، فاصطفيت لهم من أنفسهم رسلا في ألسنتهم كلماتك وفي أيديهم آياتك ، ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور بإذنك ووحيك ، فما من أمة إلا خلا فيها نذير ، وما من شعب إلا قام فيه بشير . . .

فلما نضجت الإنسانية ، وأسرع خطوها ، وأدركت رشدها وتهيأت للانطلاقة العالمية الكبرى ، تجلت رحمتك العظمى ، فمنحت الوجود أعظم روح هاد ، أبدعته

قدرتك ، وصاغته رحمتك ، لتصنع به « خير أمة أخرجت للناس » ولتضع به عن عن الإنسانيه أصرها وأغلالها ، لتنطلق ربانية مؤمنة ، حرة من كل قيد جاهلى ، مبرأة من كل ظلم طبقى ، طاهرة من كل إثم جلى وخفى . .

إنسانية عالمية الأخوة ، عالمية التفكير ، عالمية الهدف والغاية لا يثقل ضميرها شعور بالإثم ، ولا يقيد خطوها رق مادى أو نفسى ، ولا تمزقها أحقاد الألوان والأجناس ، ولا يشل انطلاقها صراع الطبقات وطغيان رأس المال ، واستعلاء الأحساب والأنساب .

سيدى يا رسول الله :

لقد جئت كفاء للبشرية فى دورها العالمى ، وفى تطورها العلمى والعقلى ، فلم تسحر أعين الناس بخوارق العادات ، ولم تقهر عيونهم بالمعجزات والآيات فحسب ، بل جئت بمعجزة المعجزات ، جئت برسالة الكلمة ، وبرسالة المنطق ، جئت برسالة محكمة شاملة ، فصلت تفصيلا من لدن حكيم عليم . . لتشمل كل نشاط حيوى فى الحياة وتربط قلب الإنسان بالله ، جئت برسالة العلم ، فأعلنت من شأن العلماء وجعلت العلم فريضة مقدسة كالصلاة ، فإنما يخشى الله من عباده العلماء ، ومداد الأقلام كفاء لدماء الشهداء » ، وكل كشف علمى يفك قيدا أو يفتح أفقا أو يصنع بأسا ، فهو عبادة وهو مناجاة .

ودروس العلم ومجالسه ، تحفها الرحمة ، وتحوطها الملائكة وتتلألأ فيها أنوار الله . .

وذلك لحن من القول لم تعرفه الرسالات من قبلك . .

وجئت يا رسول الله برسالة العمل والبناء ، لتطلق كل طاقة إنسانية صانعة ، تطلقها حية نشطة مؤثرة فى الوجود ، دافعة حركة الحياة فقرنت الخمول والكسل بالفقر والكفر ، وكانت مناجاتك لربك :

« اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من الكفر والفقر » .

وربطت العمل بالإيمان ، لترتبط الحياة بالله ، فكل نشاط حيوى فى الوجود عبادة ، وكل عمل زكاة وصلاة . . ورب ذنوب لا تكفرها العبادات وإنما يكفرها ويمحوها السعى فى المعيشة والنضال فى الحياة .

بل لقد جعلت يا رسول الله العمل فى سبيل الأسرة وفى سبيل المجتمع أعظم اجرا ، وأعز مقاما من الجهاد فى سبيلك .

« فمن يسعى على زوجة يعفها ، وعلى أرملة يغنيها ، وعلى أولاد يعولهم ، فهو مع النبيين والصديقين » ، وجاءك رجل يطلب الخروج للجهاد فى ميادين القتال ، فقلت له الكلمة الخالدة : « إن كان لك أبوان كبيران اذهب ففيهما فجاهد » ، وخير الناس وأهداهم سبيلا ليس الغنى المتعطل ، ولا الوارث المزهو بماله ، ولا العابد المنقطع لزهده ، بل : « خيركم من أكل من عمل يده » ، ويد العامل كما علمتنا يا رسول الله — جديرة بالأجلال بل بالتقبيل ، لأنها يد مجاهدة بناءة .

وجئت يا رسول الله برسالة الأخلاق — أزكى وأطهر ما تكون الأخلاق .

رسالة لم تغادر كبيرة ولا صغيرة فى أعماق الضمير ، وفى حركات الوجدان وفى خاطرات القلوب ، وبادرات العقول ، وفيما دق وخفى إلا أحاطت بها وكستها ثوب الطهر والجلال والكمال ، فلا دين لمن لا خلق له ، ولادين لمن لا مروءة له ، ولا إيمان لمن لا عهد له وآية المنافق ثلاث — إذا حدث كذب ، وإذا أوعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان — « والحياء من الإيمان » ، « والكلمة الفاحشة مروق » — « وأماطة الأذى عن الطريق وإن تلقى أخاك بوجه طلق عبادة » — أسمى ما تكون العبادة ...

ذلك بعض هديك الخلق يا رسول الله . .

جئت لتصنع به الصورة المثالية للمؤمن الربانى الذى يطاول الملائكة خلقا وأدبا ، وعفة وكمالا ، حتى خائنة الأعين وماتخفى الصدور يعلمها الله ، ويحاسب عليه !

سيدى يا رسول الله :

لقد جئت لتطلق فى آفاق الكون مع كلمة التوحيد وآذان الصلاة هتافات الحرية وأجراس المساواة ، جئت لتقرر الخط العريض الضخم الذى يقوم عليه بناء المجتمع العالمى ، خط الوحدة الإنسانية ، وبكلمات الله وبصوتك النبوى ، علمت بنى الإنسان كافة أنهم خلقوا جميعاً من نفس واحدة فحطمت بهداك أسطورة الصنم الأكبر ، الذى فرق البشرية ألوانا وأجناسا وسادة وعبيداً .

وتجزع الارستقراطية القرشية — وهى رمز لكل ارستقراطية عالمية — فيهرع إليك الوليد بن المغيرة هاتفا : « أجئتنا لتجعلنا وأشباه ابن سمية سواء !! فتجيبه يا رسول الله — إجابة تترقرق فيها أنوار الله ، ويخفق لها قلب البشرية : نعم

لقد جئت برسالة لا تفاضل فيها إلا بالتقوى والعمل الصالح . . جئت لأجعل من المؤمنين أمثال ابن سمية أئمة لهم ميراث الأرض .

وكما حطمت يا رسول الله — الأسطورة الصنمية الجاهلية — أسطورة اللون والجنس — حطمت الأصنام الكريهة البشعة — أصنام التمايز الطبقى والاستعباد المادى . . تلك الأصنام التى تحكمت واحتكرت الأرزاق ، التى أودعها الله أرضه ، لتكون للناس جميعاً فجعلتها الجاهلية المحتكرة المستبدة رزقا لها دون الناس تستعبدهم ، وتذلهم بها ، وتسخرهم لأغراضها وشهواتها .

وقبل أن تعرف الدنيا كلمات الاشتراكية والعدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص ، بقرون وآماد طويلة ، أضاءت كلماتك العادلة يا رسول الله آفاق الكوكب الأرضى ، تهتف بحرس الوحى الإلهى ، وتكتب العريض المضىء الذى يقوم عليه صرح العدالة الاجتماعية أسمى وأعلى ما تكون العدالة .

فالمال مال الله ، والمال فى يد صاحبه يؤدى وظيفة اجتماعية لصالح المجتمع كله ، « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » — « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » .

وسبيل الله أفق يشمل الحياة كافة . . .

وصلوات الله عليك يا رسول الله إذ تصف الأشعريين وصفاً اشتراكيا تعاونيا إنسانيا رائعا فتقول :

« إن الأشعريين إذا أرملوا فى الغزو وقل زادهم أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية ، فهى منى وأنا منهم » .

ثم تقول « من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له . . ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له » . . قال أبو سعيد الخدرى : فذكر رسول الله من أصناف المال ما ذكر ، حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل » .

سيدى يا رسول الله :

لقد ارتبطت رسالتك بشخصك . . فأنت صورة رسالتك . . وأنت تفسيرها الحى . . وعنوانها المشرق ، ومثلها الأعلى .

خلقك القرآن ، وأدبك أدب الله ، وكلمك لا يصدر عن الهوى « إن هو إلا وحى يوحى » .

ومن هنا كنت للمؤمنين الأسوة الحسنة ، ولقد قام التصوف الإسلامى على هديك وعلى خلقك ، وعلى أدبك ، يترسم خطاك ويأخذ بعزمانك وينهج نهجك .

فالصوفى ، هو الذى يعيش فى نطاق المثل الأعلى الذى رسمته يا رسول الله فهو يسمع بأذنك ويبصر بعينك ، ويهتدى بهديك . . ويتعبد بوحيك وتنطبع حركاته وسكناته وخواطره بالملامح القرآنية التى كانت صورتك . . وكانت حياتك .

والتصوف فى جوهره هو الإحساس بالواجب ، الواجب الذى افترضه الله للكمال الخلقى والتعبدى والإنسانى . . .

ومن هذا الواجب المقدس تولد الضمير الصوفى الحى الذى يستهدف دائما الارتفاع بنفسه ، وبسلوكه ، وبعواطفه فوق طبيعته الأرضية ورغباته الحسية . . .

ومن هذا الواجب استمد الصوفى قوة البأس والنضال ليصنع لنفسه وللإنسانية عالما أفضل وحضارة أسمى .

سيدى يا رسول الله :

لقد أضاءت رسالتك للإنسانية طريقها الصاعد قرونا وأحقابا ، وهاهى أمتك العربية اليوم تستعد للقيام بدورها العالمى من جديد .

ومنذ أسابيع يا رسول الله — وقف قائد العروبة الرئيس جمال عبد الناصر ليعلن فى مسمع الدنيا — التشريعات والتنظيمات التى ترتكز على أسس العدالة الاجتماعية فأطلق بذلك الطاقات الشعبية الكبرى التى عطلتها الرجعية وقيدتها الطبقية وأذلتها الرأسمالية .

لقد تحررت تلك الطاقات وانطلقت لتصنع على هديك يا رسول الله وبقيادة الزعيم ، فجر الوثبة العربية ، التى أطلقتها ، وقدتها لتكون خير أمة أخرجت للناس .

سدد الله خطى زعيمنا وألهمنا رشدنا ، وأخذ بقلوبنا إلى هداه ورضاه ، إنه سبحانه ولى التوفيق .

وصلوات الله وسلامه على صاحب الذكرى .

نجم أحمد

بقلم الأستاذ
طه عبد الباقى سرور

منذ أربعة عشر قرناً وقف يهودى من علماء التوراة الربانيين ، على أحد آطام يثرب ، يرقب السماء ، ويرصد الآفاق ، منتظراً حدثاً كونياً ، وعلامة بين الكواكب ، هى الفيصل بين الجاهلية ، وأيام الله .

وفى ذات مساء أخذ يصيح : طلع الليلة نجم أحمد ، نجم التوحيد ، نجم الخير والهدى للعالمين .

لقد كان الإسلام ممثلا فى رسوله ، نجما تترقبه الدنيا ، وتتطلع إليه البقية المؤمنة !!

ومن جديد تتطلع الدنيا ويرقب المؤمنون نجم أحمد ، نجم الإسلام ، وسيعود النجم بإذن الله وأمره ، لينقذ الإنسانية من الجاهلية القائمة ، كما أنقذها منذ أربعة عشر قرنا من الجاهلية الذاهبة .

وواجب كل مسلم أن يسهم فى تمزيق الحجب التى تخنق النجم وتحجبه عن الأبصار وتعوقه عن الإشراق ، وفريضة على كل مفكر فى أى بقعة من بقاع العالم الإسلامى ، أن يدخل المعركة فوراً بكل قواه ضد الظلام ، وفى سبيل النور .

وفى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه :

« كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبى خلفه نبى ، وإنه لا نبى بعدى » .

فكل مسلم اليوم هو رسول إلى قومه ، وكل مؤمن هو خليفة لنبيه ، وكتاب الله بيننا ، هو شريعتنا ومحجتنا وهدانا ، وهو إمام كل نهضاتنا .

روى الترمذى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، قلت : يا رسول الله ، وما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله تبارك وتعالى ، فيه نبأ من قبلكم ، وخبر من بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفيصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم » .

والنهضات اليوم لا ترتجل ، وإنما تبنى لبنة لبنه ، بأيد الصناع المهرة المدربين وتعد خطوطها العريضة فى رؤوس المفكرين ، وقلوب المؤمنين ، وعقول المشرعين ، وتنسج دروعها فى معامل العلماء ، وصحف الاجتماعيين وأندية الاقتصاديين

إن النهضة الإسلامية . يجب أن تخرج من نطاق الكلمات الجوفاء ، والصرخات الرعناء ، والعصبيات الحمقاء ، والدعوات المرتجلة ، والحماسات الجاهلة ، إلى ساحات التنظيم والإعداد ، والتنسيق الكامل ، والكفاءة العلمية ، والخبرة الفنية .

يجب أن يمسك بزمامها العلم المؤمن ، والوعى اليقظ المتطور ، والخلق الرفيع الواقعى ، والقلب الخاشع الحى ، والحزم المتوثب المحدد ، والفداء الحكيم الصاعد إلى الله بغاياته وأهدافه ، حتى لا تنحرف أو تضل أو تتفرق بها السبل .

يجب أن يرتكز على بعث عقلى جديد ، يقوم على اكتشاف الإسلام من جديد ، بكل ما فيه من إمكانيات وقوى وصلاحيات عالمية ، وأن يستضاء فى كل هذا بالمصدرين الأساسيين للاسلام ، كتاب الله وسُنة رسوله كما توضع فى الميزان مناهج الحضارة الإسلامية ، فى عصورها الإيمانية ، وما رسمته للمجتمعات البشرية ، من نظم وتشريعات ، وما حققته لأبنائها فى ميادين العدالة الاجتماعية ، والقوة الاقتصادية ، والعظمة العلمية ، والكفاءة الحربية ، والمثاليات الأدبية والخلقية .

وأن تساهم الأقلام العالمية المستنيرة فى هذا البعث وتسانده ، بالدراسات المتلاحقة ، التى تعنى أول ما تعنى بتقديم منهج إسلامى ، أساسه الشورى والحرية والمساواة ، والعدالة الإسلامية الشامخة ، والكفاءة الاقتصادية الهادفة .

منهج إسلامى يمشى على قدميه حيا تشاهده الأعين ، وترى فيه جوابا وإقناعا وعلاجا لكل ما نضطرب فيه من شئون حياتنا ، ويعرض أنظمة اقتصادية ، مدروسة محررة محددة ، تكفل إقامة مجتمع إسلامى عالمى على دعامات اقتصادية متفوقة ، أنظمة اقتصادية يقرها الوضع الحضارى ، ويقبلها المنطق الاقتصادى ، ويرضى عنها الإيمان الإسلامى .

كما يعنى برسالة الإسلام الاجتماعية ، ونظمه التعليمية ، وموقفه من التشريعات العمالية ، والمجتمعات المهنية ، وما فرض من قداسات للحريات والعقائد ، وما قدم من حلول حاسمة لكل ما تحتاج إليه حياتنا المتشابكة ، وما يلابسنا من تيارات عالمية ، وما يحيط بنا من مشاكل دولية .

كما يجب أن نحدد موقفنا من هذه الحضارة المادية المنحلة ذات البريق العلمى الباهر ، والروح الجاهلى الملحد الفاجر .

هذه الحضارة الجاهلية التى تسللت إلى عقولنا ، وعاشت فى قلوبنا ، وأخذت علينا سبل تفكيرنا ، وضربت على أبصارنا الرغبة والرهبة ، وهيمنة هيمنة كاملة على أخلاقنا ونظمنا .

هذه الحضارة التى تضاد الإسلام روحا وتقنينا ، وتخالفه صراحة فيما يتناول من شئون الحكم ، وفيما يرسم للمجتمعات من عادات وأخلاق ومثاليات .

والإسلام بناء كامل له أفقه الحضارى ، وله جهازه الثقافى ، ومجتمعاته التى تقوم على الأخلاق ، ومدارسه التى ترتكز على الروح والآداب ، ومثالياته التى تبنى عليها الحياة ، وتصعيده لكل عمل من أعمال الدنيا إلى الله .

وهو أعز من أن يغفى فى غيره ، وأكبر من أن يذوب فى ثقافة تجاوره ، وقد أنزله الله دينا سيدا مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ، وجعل من كل مؤمن به إماما للناس ، يقود مواكبهم للحق ، ويأخذ بأيديهم إلى كلمات الله .

إنه دين ورث النبوات والرسالات كافة ، وارتضاه الله أفقا لجامعة الرسل ، وعنوانا لكل كتاب مقدس ، فأى تنازل منه فى ميادينه التشريعية والخلقية والتعبدية ، هو اهدار لكل الأديان ، وتفريط فى أمانة الله ، ومساندة للجاهلية .

ولكنه أيضاً لايعرف الجمود والتزمت والانفصال داخل الأسوار ، إنه لدين يمشى بالحياة ولا يقف ، ويمتد مع الناس إلى الخير ولا ينكص .

إنه رسالة للدنيا ، كما هو رسالة للأخرى ، رسالة للعلم والقوة وكل ما يعنيه على أن يكون القوة الأولى .

وعلى هذا الضوء نحدد موقفنا من الحضارة الأوربية القائمة ، نأخذ منها مسببات القوة والبأس الشديد ، والعلم العريض ، ونعرض عن تحللها وعدوانها وجاهليتها الشهوانية الملحدة .

إن من مقومات نهضتنا أن ننتفع بالمعارف العالمية التى كسبها الإنسان فى تطوره التاريخى ، وأن نضم إلى قوتنا الذاتية ، تلك القوى التى تعمل فى حقل الحضارات المعاصرة ، وأن نقتبس من نظمها كل نافع لنا ، وكل معين على نهضتنا .

علينا أن ننتفع ببرامجها فى الاعداد والتنظيم والإنتاج ، وأساليبها فى الدرس والتحصيل والابتكار ، وأن نأخذ من قوانينها العامة المنتقاة كل مالا يتعارض مع روح الإسلام .

تلك هى مقومات نهضتنا التى نرقب معها «نجم أحمد» النجم الذى يتألق بالهدى والنور ، ويشرق بالسلام والمحبة والرحمة ، للانسانية التى يهفو قلبها المكدود المحزن إلى كلمات الله وآياته ، ونور محمد ورسالته .

من أدب الاسلام

للاستاذ الشيخ محمد أبو زهرة

كل ما أطلقه الإسلام من حرية فى القول أو الفعل أو الرأى أو السياسة ، أساسه عدم الإعتداء على حق الغير ، فقد نهى عن الإعتداء نهيا مطلقا ، وذكر الله سبحانه وتعالى فى أكثر من آية أنه لا يحب المعتدين ، فقال سبحانه « ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » وقد وضع النبى صلى الله عليه وسلم قاعدة للتعامل العادل الذى لا اعتداء فيه : « عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به » وإن ذلك القانون هو أمثل قانون يحدد به ما يباح للانسان أن يفعله ، وما لا يباح بالنسبة لحق الغير ، ولقد قرر الفيلسوف الألمانى « كانت » أن الميزان الصادق للأفعال التى يجوز للانسان أن يفعلها ، والتى لا يجوز هو أن يفرض الشخص عند القيام بعمل أن ذلك العمل يباح للناس أجمعين ، ولينظر ما يترتب على ذلك ، كان الذى يترتب على فإن كان الذى يترتب عليه صلاح لا شك فيه ، فإن ذلك العمل يكون متفقا مع الأخلاق ، وإن كانت إباحته للجميع يترتب عليها ضرر لا محالة فإن ذلك العمل لا يكون متفقا مع الأخلاق . وإن ما سبق به الهدى النبوى من قول عليه السلام : « عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به » أحكم فى الدلالة على ذلك المعنى الإجتماعى الذى يقرره هذا الفيلسوف ، لأنه لم يمنع الإنسان أن يعمل بالنسبة لغيره ما يضر فقط ، بل أمره بفعل ما يكون محبوبا عند الناس.

وإن الاسلام فى تطبيق مبدأ منع الإعتداء قد قرر مبادئ دقيقة منها :

(١) أن الله سبحانه وتعالى يغفر لعباده ما يكون فيه اعتداء على حقوق الله تعالى اذا تاب العبد عما ارتكب ، فمن شرب الخمر وتاب فإن الله يتوب اليه ، أما من اعتدى على حق من حقوق العباد ، فإن الله تعالى لا يقبل توبته الا اذا أعاد المعتدى الحق إلى صاحبه ، أو عفا صاحب الحق ، فمن اغتصب مالا لإنسان ، ثم تاب لا تقبل توبته إلا إذا أعاد المال لصاحبه ، أو عفا عنه صاحب المال ومن أصاب إنسانا

بأذى فى بدنه لا يقبل الله توبته إلا إذا عفا المجنى عليه ، أو اقتص من الجانى ، أو أوى ذ من عليه الحق عوضا عما أصاب الآخر من أذى .

(ب) ومنها أنه أوصى بالجار حتى فى الطريق ، وهو ما عبر عنه سبحانه وتعالى بالصاحب بالجنب ، فجار الطريق ، ولو فى مركب عام ، كقطار ، أو طائرة ، أو سيارة له حق ، وهو عدم الايذاء بأى نوع من أنواع الايذاء ، فلا يضايقه فى مجلسه ، ولا يعتدى عليه بعبارة ، ولا يجلس جلسة تضايق النظر ، كما يفعل أولئك الذين يثنون إحدى أرجلهم على الأخرى ، وقد لووا أعناقهم استعلاء ، وفى ذلك إيذاء نفسى لا يدركه إلا ذوو الإحساس واللياقة ، والحياء .

(ج) ومنها — أنه أوصى بالرفيق فى السفر ، حتى إنه توجب عليه أن يشاطره فى طعامه إذا لم يكن له طعام ، ولقد قال أبو سعيد الخدرى : « كنا فى سفر ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « من كان معه فضل ذاد فليعد به على من لا زاد له ، ومن كان معه فضل ظهر فليعد به على من لاظهر له ، وأخذ يعدد من أنواع المال ، حتى ظننا أنه ليس لنا فى مالنا إلا ما يكفينا » وذلك حق الغير فى السفر ، وليس حقا للغير فى كل الأحوال .

(د) ومنها أنه قيد التجارة بمنع الإحتكار ، فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « المحتكر خاطئ والجالب مرزوق » وفى ذلك الحديث النبوى تنبيه الى أمرين تعالج بهما الأزمات الإقتصادية :

أحدهما — منع الاحتكار ، ووضع عقاب رادع للمحتكرين .

وثانيهما — جلب الأرزاق والاستيراد من الخارج ، والاسلام لا ينظر الى تسعير الأقوات نظرة راضية ، لأنه لا يحل الأزمة ، ويفتح الباب للأسواق المظلمة ، فيدخلها الأغنياء ، ولا يستطيع أن يدخلها الفقراء ، ولذلك روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تسعروا فإن المسعر هو الله » ومن أجل هذا حرم كثيرون من الفقهاء وإن التسعير يحترم حيث يكون الوفر ، ولا يحترم حيث يكون القل ، وفى الأولى لاحاجة اليه ، وفى الثانية لاجدوى فيه .

وفى سبيل منع الاحتكار حرم الاسلام بيوعا مختلفة ، فحرم تلقى الركبان ، بأن يستقبل التاجر خارج الأسواق المقبلين بالبضائع فيشتريها ، وقد يحتكرها ، ويتحكم فى أسعارها ، وحرم المقايضات فى الأطعمة ، ولكى يمنعها منع المقايضة إلا إذا كانت مثلا بمثل من غير نظر إلى إختلاف النوع ، أو الجودة والرداءة ، فلا يباح القمح

بالقمح إلا مثلا بمثل يداً بيد ، ولو اختلف النوع ، واختلفت الصفه ، لأن تشجيع المقايضة يؤدى إلى إحتكار الأقوات فى أيدى طوائف معينة ، فلا يستطيع نيلها من ليس معه شيء منها .

(م) ومنها أنه أوصى بالاستئذان عند دخول المنازل ، فقال : « يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ، ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ، فإن لم يجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها ، حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم » .

وقد قرر الاسلام حرمة البيوت ، ومنع من أن ينظر الانسان إلى أستار غيره ، وأباح النبي لمن كشف الغير ستره بأن نظر إلى غرفة نومه من ثقب أو نحوه أن يفقأ عينه .

(و) ومن المحافظة على حق الغير أنه منع التجسس ، وألا يظن المؤمن بالناس إلا خيراً ، فقد قال تعالى : « يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن، إن بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ، فكرهتموه » وقد قال عليه السلام : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ، وكونوا عباد الله إخوانا » .

هذا وانا نقرر أن الاسلام دين المعاملة العادلة وأن خاصته منع الاعتداء ، والعدالة حتى مع الأعداء ، ولذلك يقول الله تبارك وتعالى : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » والمعنى لا يحملنكم بغض قوم على ظلمهم ، وإذا كان لكل دين سمة ، فسمة الإسلام العدالة ومنع الأذى ، ولذا ورد عن النبى أنه قال : « المسلم من سلم الناس من لسانه ويده » .

الخطوط الكبرى
للنهضة الإسلامية

للدكتور محمد خلف الله أحمد

عميد كلية الآداب بجامعة الاسكندرية

يمر العالم الاسلامى اليوم بمرحلة بالغة الأهمية فى تاريخ الاسلام ، وصلته بالمجتمع وحضارته : فالأمم الاسلامية - من ناحية - قد نما وعيها القومى ، فشعرت بوجودها واعتزت بتراثها ، أخذت تجاهد ، لا لتتبوأ مكانها بين الأمم فحسب ، ولكن لتقوم بنصيبها كذلك فى تقدم الحضارة الانسانية عامة ، وإقرار مبادىء الاخاء والعدالة بين جميع الشعوب ، والعالم الغربى - من ناحية أخرى - قد أخذ يعنى بتتبع النهضات الفكرية فى العالم الاسلامى ، ويرقب اتجاهات حركاتها ، ويدرس تأثير الثقافة الاسلامية فى تفكير المسلمين ، وفى تحديد موقفهم من الفلسفات السياسية والاجتماعية الحديثة .

هناك - إذن - فى المرحلة الحاضرة من تاريخ الانسانية تجاوب فى التفكير ، ورغبة متزايدة فى تعرف الآثار العملية لتعاليم الإسلام ، وإفادة من هذه التعاليم وتخفيف ما ترزح تحته من أطماع وشرور ونزعات مادية .

وسأدير حديثى حول الاتجاهات العلمية التى أخذ نشاط العالم الإسلامى اليوم يتبلور فيها ، مشيرا بصفة خاصة إلى مظاهر هذه الاتجاهات فى حياتنا . أن المراقب لليقظة القومية الحاضرة يدرك أنها تسير بخطى ثابتة مطردة نحو إقامة حياة جديدة فاضلة على أسس من الخطوط الكبرى التى رسمها النظام الاسلامى ، والتى تتمثل فى الإيمان بالله ، والعمل لخيرى الدنيا والآخرة ، والحكم الصالح الذى يهدف إلى سعادة المحكومين والتعاون المثمر فى كل ما يعود على المجموع بالخير ، وتوفير حرية العقيدة والفكر والعمل لكل مواطن ، والأخذ بيد الضعيف والعاجز والمحروم ، والدفاع عن المقدسات الانسانية من دين ووطن وعرض وكرامة ، واستثمار ما خص الله به الإنسانية من إدراك ونطق فى زيادة المعرفة وكشف أسرار الوجود .

هذه الخطوط الكبرى واضحة وضوحا لا لبس فيه ، فى نصوص الاسلام قرآنه وحديثه ، وفى العمل الذى جرى عليه الرسول وخلفاؤه الراشدون ، وفى مراحل الأزدهار التى تولى فيها أمور المسلمين ولاة عدول ، والكتب والرسائل التى ألفها علماء ومصلحون ممن نفذوا بصفاء جوهرهم إلى أسرار الإسلام وأهداف تشريعه ، وفى الحضارات التى قامت على أساس هذه الخطوط كلها أو بعضها .

والنظام الذى ترسمه هذه الخطوط ليس مغرقا فى المثالية ، ولا بعيداً عن واقع الحياة ، ولامتجاهلا لطبائع النفوس ، ولكنه نظام يتخذ من الإيمان دعامة للاستقرار ومن العقيدة مصدرا للإطمئنان ، ومن المثل العالية مصابيح يهتدى بها السارون فى مجاهل المعيشة ، ويجعل من تفاوت الناس فى مواهبهم وقدراتهم وسيلة لترابطهم وتعاونهم ، ويقيم من الحكام والعلماء حملة لمشاعل العدالة والمعرفة ، ويشتق من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حافزا على التقدم وباعثا على طلب الكمال ، ويرجع الأديان السماوية كلها إلى منبع واحد ، ليقرب بذلك بين أهل الايمان بالله وليجمعهم على كلمة سواء .

وهذا النظام — كما هو ظاهر من خطوطه ومن تاريخه — لا يمكن فرضه على الناس فرضا ، ولا بناؤه على أسس القوة والجبروت ، ولا محاولة التمكين له من طريق العنف والتعصب ، ولكن الطريق الطبيعى لبنائه هو التربية والتثقيف ، والحكمة والموعظة الحسنة ، والقدوة الصالحة ، وتعرف أدواء النفوس ، ومراعاة أحوال العمران ، ورسم سياسة بعيدة المدى لتحسين أحوال المسلمين ، ورفع مستواهم الثقافى والاجتماعى والاقتصادى ، ودعم وحدتهم ، وإعلاء كلمتهم فى المعترك الدولى .

هذه المبادىء التى نقررها هنا مشتقة من صميم التوجيهات الاسلامية وهى لهذا جديرة بالدرس والتأمل والأتباع ، ويمكن أن نتخذ منها مقاييس للحكم على الخطوات التى خطتها أو ستخطوها الجمهورية العربية فى سبيل قيام الاسلام بدوره فى بناء المجتمع ونهضة الحضارة .

لقد وجهت الجمهورية العربية شطراً من عنايتها فى جهودها التحريرية إلى السمو بكرامة المواطنين جميعاً ، وتقريب المسافات بين غنيهم وفقيرهم ، حتى يكون الجميع سواء فى حق الحياة ، وحتى تتوثق الرابطة بينهم ، فلا يتزاق الغنى بثرائه إلى السيطرة والتجبر ، ولا يندفع الفقير بحرمانه إلى النقمة والكراهية . ومن المعلوم أن هذه نقطة أساسية فى برنامج الاسلام فقد حض على البذل ، ووضع الثروة فى مكانها من عدد

الحياة وحذر من كنز الأموال . وسن للأغنياء غير سبيل إلى الايثار والاعطاء ، وأبعد عن الفقراء شعور الحرمان ومرارة العوز ، وجهد الخلفاء فى تعهد هذه الناحية فى الرعية ، حتى لقد قال أحدهما : « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول الاغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين » .

هذه الروح أصيلة فى النظام الاسلامى ، وإن كان المسلمون قد أهملوها أو جهلوها فى مراحل من تاريخهم ، ومن الحكمة إبرازها فى منهج الاحياء الاسلامى ، فى هذا العصر الذى اضطربت قيمه ، وتعقدت أموره وكثرت مثيرات النزاع فيه . وإذا فهمت فلسفة الاسلام فى هذه الناحية على حقيقتها أمكن أن يجد فيها المجتمع الحديث حلا لمشكلة من أعقد مشكلاته ، ومن الخير أن نشرح المبادىء الاسلامية فى هذا شرحا مستقلا ، غير متأثر بنزعة حديثة تنحرف به إلى هذه أو تلك من الفلسفات المتناظرة .

والمظهر الثانى الذى عنيت نهضة الجمهورية العربية برعايته والقيام عليه هو حث الأفراد والجماعات على العمل والنظام والمواظبة وعدم الاهمال فى الواجبات أو التباطؤ فى تنفيذها ، ولا سيما إذا كانت واجبات تتصل بالصالح المشترك وتؤثر فى سير الحياة العامة . وهذه ناحية مرعية الجانب فى المجتمع الغربى ، وقد أولاها الاسلام اهتماما فى فلسفته ونظامه : فحض على العمل ، والمزيد من الاتقان ، وحذر من التراخى والتواكل وإضاعة العمر فيما لا يفيد ، والقعود عن طلب الرزق ، وانتظار أن تمطر السماء ذهبا أو فضة . ومما له دلالته فى هذا أحد الادعية المأثورة التى يروى أن الرسول كان يكررها صباحا ومساء . وفيه يقول : « اللهم أنى أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » .

والمجتمع الاسلامى اليوم فى حاجة كبيرة إلى العناية بهذه الناحية ، فقد توالت عليه أزمان من الجهل والتأخر ، أورثته البطء فى الحركة ، والإهمال فى الواجبات ، والتراخى فى أداء المسئوليات ، وإضاعة الوقت فى الشواغل الفارغة ، والتسويف فى الأعمال حتى يتراكم بعضها على بعض . والسرعة التى تنفذ بها الآن بعض المشروعات الاصلاحية الكبرى فى مصر تعطى مثالا مما يمكن أن يكون عليه المجتمع إذا حرص كل فرد فيه على أن يعمل ويخلص فى العمل ، ويسهر على الثغر الذى يكلف رعايته ،

ويقوم بدوره فى وقته المحدد له ، كما يقوم أفراد الفريق الموسيقى بأدوارهم فى دقة وتجانس.

والظاهرة الثالثة فى نشاط النهضة العربية تخصيصها جزءا من برنامجها لتنسيق الجهود الاسلامية العامة من طريق التواصل الشخصى والزيارات المتبادلة بين القادة والرؤساء ، فى صورة عملية ، تحكم أواصر الود بين المسلمين ، وتهيء لهم فرص التشاور والتعاون المثمر فى كل عام ، وتجعل منهم قوة يخطب ودها ويعمل حسابها فى العلاقات الدولية .

هذه النماذج الثلاثة من النشاط مظاهر مدنية فى طابعها ، دينية فى روحها ومراميها تقوم على الفطرة السليمة ، والنظر الراجح ، والتطبيق المثمر لنتائج الاجتماع الحديث ، والترجمة الصحيحة لاسرار الشريعة السمحة . وهى جزء من البرامج الواسع الذى تحاول النهضة الاسلامية أن تسير عليه فى تحقيق الرسالة الحضارية للاسلام .

المناجاة العطائية

للأستاذ أبو الوفا التفتازانى

مدرس الفلسفة الإسلامية بكلية الآداب بجامعة القاهرة

لابن عطاء الله السكندرى مناجاة صوفية من روائع الأدب الصوفى ، وهى دعاء موجه إلى الله تعالى ، وأغلب الظن أن تكون قد ألفت مع الحكم لأن عبارتها متشابهة .

ويكفى أن نثبت هنا فقرات منها ليتبين لنا إلى أى حد كان ابن عطاء أديبا بارعاً يعبر عن أذواقه أجمل تعبير ، ويفصح عن مشاعره بأسلوب عذب يؤثر فى سامعه وينقل إليه تقواه وخشوعه .

يبدأ ابن عطاء الله هذه المناجاة بقوله : « إلهى أنا الفقير فى غناى ، فكيف لا أكون فقيراً فى فقرى ؟ إلهى أنا الجاهل فى علمى ، فكيف لا أكون جهولا فى جهلى ؟ إلهى إن اختلاف تدبيرك ، وسرعة حلول مقاديرك ، منعا عبادك العارفين بك عن السكون إلى عطاء واليأس منك فى بلاء ، إلهى منى ما يليق بلؤمى ، ومنك ما يليق بكرمك » .

ثم يمض فى مناجاته الجميلة معبراً عن أدق أذواقه وأروع أحواله فيقول عن معرفته بالله بطريق الذوق لا الاستدلال : « إلهى كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده مفتقر إليك ؟ أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو لك المظهر ؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ؟ ، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل إليك ؟ » .

ثم تظهر قوته البلاغية حين يعبر بعبارات لا تزال تردد على الألسن إلى يومنا هذا ، فيقول : « إلهى هذا ذلى ظاهر بين يديك . وهذا حالى لا يخفى عليك ، منك أطلب الوصول إليك ، وبك استدل عليك ، فاهدنى بنورك إليك ، وأقمنى بصدق العبودية بين يديك » .

ثم يعبر عن إسقاط تدبيره مع الله واختياره بعبارات فيها خشوع الصوفى العابد فيقول . « إلهى اغننى بتدبيرك عن تدبيرى ، وباختيارك عن اختيارى ، وأوقفنى على مراكز اضطرارى . . . إلهى بك استنصر فانصرنى ، وعليك أتوكل فلا توكلنى

وإياك أسأل فلا تخيبني ، وفي فضلك أرغب فلا تحرمني ، ولجانبك أنتسب فلا تبعدني وببابك أقف فلا تطردني .

ويعبر بعد هذا عن معاني المعرفة والحب والأنس بالله ، فيقول في عبارات لم أر أقوى منها فيما قرأت للصوفية مخاطباً ربه : « أنت الذي أشرقت الأنوار في قلوب أوليائك حتى عرفوك ووحدوك ، وأنت الذي أزلت الأغيار من قلوب أحبابك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجأوا إلى غيرك . أنت المؤنس لهم حيث أوحشتهم العوالم ، وأنت الذي هديتهم حتى استبانت لهم المعالم ، ماذا وجد من فقدك ، وما الذي فقد من وجدك ؟

وعلى هذه الوتيرة يمضي إلى نهاية مناجاته معبراً عن أحواله الصوفية تعبيراً صادقا في عذوبة ورقة لهما وقع أي وقع في قلوب المتعبدين من السالكين إلى الله .

وقد كان ولا يزال لهذه المناجاة عند الصوفية من الشاذلية منزلة رفيعة ، وهي عندهم مما يتعبدون ويتناجون به في وقت السحر .

إيمان ذى النون ورابعة العدوية

للكاتب المغربى

للأستاذ عبد السلام محمد الكويرة

يقول ذو النون المصرى عرفت ربى بربى ، ولولا ربى ماعرفت ربى .. ثم يقول: إلهى ، كل ما أصغى إلى صوت حيوان ، وحفيف أوراق وخرير ماء وتغريد طائر وذوى رن وقصف رعد وجدت كل ذلك شاهد بوحدانيته دال على أنك ليس كمثلك شىء ... إلهى لا تترك بينى وبين أقصى مراد حجابا إلا هتكته ولا حاجزاً إلا رفعته ولا وعراً إلا سهلته ، ولا بابا إلا فتحته حتى تقيم قلبى بين ضياء معرفتك ، وتذقنى طعم محبتك ، وتبرد بالرضى منك فؤادى وجميع أحوالى ، حتى لا أختار غير ما تختاره ، وتجعل لى مقاما بين مقامات أهل ولايتك وميدانا فسيحا فى ميدان طاعتك :

وتقول رابعة العداوية إلهى ، إذا كنت أعبدك رهبة من النار فاحرقنى بلهيبها ، وإن كنت أعبدك رغبة فى الجنة فاحرمنى منها ، وأما إذا كنت أعبدك من أجل محبتك فلا تحرمنى يا إلهى من جمالك الأزلى . . .

وأعلم يا أخى أن سبيل العبد إلى إقبال الرب عليه وحبه له هو أن يكون العبد صابراً شاكراً ذاكراً ، أما إذا كان العبد ساهياً لاهياً معرضا عن ذكر ربه فذلك علامة أعراض الله عنه . وهو سبحانه إذا آسى العبد بخلقه أوحشه من نفسه . وإذا أوحشه من خلقه آنسه بنفسه .

فمعرفة الله تطالب بأداء حقه ، وقراءة القرآن تطالب بالإمتثال لما فيه ومحبة الرسول تطالب باتباع لسنته ، ولعن إبليس تطالب بعدم اتباع هواه ، وذكر عيوب الناس تطالبنا بذكر عيوبنا لا عيوب غيرنا . فالإنسان الكامل يكون محبا للناس مشفقا عليهم ، ساتراً لعوراتهم ، قائما بحاجاتهم . واعلم يا أخى أن أكبر الكرامات هى أن تبدل خلقا مزموما من أخلاق نفسك بخلق محمود . فلا تغتر بالمظاهر من

الخلق ... فقد سئل أبو يزيد عن رجل لبسط مصلاة على الماء وتربع فى الهواء فقال لا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه فى الأمر والنهى . . . وسئل أبو يزيد عن رجل يمر فى ليلة إلى مكة فقال : الشيطان يمر فى لحظة من المشرق إلى المغرب وهو فى لعنة الله .

وسئل على - كرم الله وجهه - عن العباد فقال هم ثلاثة أصناف : صنف عبد الله رغبة فعبادته تجارة . وصنف عبده رهبه فعبادته عبادة الرقيق . وصنف عبده عبادة شكر فعبادته عبادة الأحرار . جعلنا الله منهم .

الصلوات لله

للزعيم الهندى مولانا محمد على

وثمة درة أخرى ، فى قلادة أفضال النبى صل الله عليه وسلم على الانسانية ، ذلك أنه لم يجعل الصلاة لله حجر الزاوية فى بناء التطور الفردى للانسان فحسب ، — بل جعلها دعامة الأخوة الشاملة للانسانية ، التى تبثها عن طريق الإسلام ، فكانت الأوامر الثلاثة التى بلغ أنها نزلت عليه من السماء بالترتيب التالى :

أقرأ واكتب لتبلغ منزلة الشرف ، كما رأيت آنفا ، فقد كان الأمر بالقراءة والكتابة باكورة الوحى الأول الذى أوحى به إليه .

ثم كان ثانى وحى إليه أمرا بتحذير القوم وتكبير الله :

« يأيها المدثر ! ... قم فأنذر ! ... وربك فكبر ! ... »

والأمر الثالث ، هو ثالث ماأوحى به إليه بالترتيب التاريخى ، كان أمراً بالصلاة لله لا فى وقت النهار فقط بل آناء الليل كذلك :

« يأيها المزمل ! ... قم الليل إلا قليلا ، نصفه أو انقص منه قليلا . أوزد عليه ورتل القرآن ترتيلا . »

ويتلو ذلك فى نفس السورة ، كما بلغ ، كيف أن النبى وصحابته نفذوا الأمر :

« إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ، ونصفه ، وثلثه ، وطائفة من الذين معك ... »

وفى سورة أخرى سابقة يذكر أن أداء الصلاة قد تقرر بالنهار وفى الليل معا على السواء :

« أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر ، إن قرآن الفجر كان مشهودا . ومن الليل فتجهد به نافلة لك ، عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا . »

وكذلك تقرر أن الصلاة لله نهارا وليلا إنما هى الوسيلة كذلك لتسنم الإنسان مرتبة عظيمة من المجد ، ثم تقرر بعد ذلك أن الصلاة يتحتم أداؤها فى أوقات متتالية :

« فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون . وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون . »

وبهذا التوجيه جعل النبى صلى الله عليه وسلم الصلاه نظاما يباشره هو وأتباعه فى أوقات معينة ، ولم يترك للفرد فرصة لتخير وقت بين آونة وأخرى للصلاة حين يستشعر خلوه من الشواغل ، فاحتلت مكانتها بين ثنايا عمله اليومى . صلاة الصبح وقتما ينهض من الفراش ، وصلاة الظهر حالما يكون متهيئا لتناول وجبة الغداء ، كدليل على أن الجسم إذا كان يتطلب غداء ، فإن الروح كذلك يتطلب مثله ، وصلاة العصر عند ما يرجع من عمله اليومى ، وصلاة المغرب بعد غروب الشمس ، وصلاة العشاء ريثما يهم بالإيواء إلى فراشه ، لتكون خاتمة مطافه اليومى كله .

كان الغرض المنشود من ذلك هو أن يحس الإنسان بقلبه إحساسا عميقا بوجود الله ، وذلك هو الموهبة التى اختصت بها الطبيعة الإنسان ، حتى يتذكر على الدوام أن عليه واجبا لبارئه ، واجبا يدعوه من غمرة مشاغله الدنيوية ليقف بين يدى الحضرة الإلهية ، وينبهه وهو فى حمأة الجلبة والضوضاء كلها ، التى ربما تغشى عقله فتحول بينه وبين الله ، الشعور من الإنسان بأن هناك حضرة علية ، هو فى الحق مسئول أمامها عمل يعمل ، — هو الذى يذكره ساعة النصر ونشوته بأنه لا شىء أكثر من مخلوق ضعيف حقير ذليل لله ، كما يذكره ساعة الفشل وخيبة الأمل بأنه ما زال له سند يستند إليه ، وبأنه ليس هناك شىء مطلقا يوجب اليأس والقنوط .

وترجع الأهمية التى علقت على الصلاة إلى أنها الطريق العملى لتغليب العنصر الإلهى فى الإنسان . ولم يقنع النبى صلى الله عليه وسلم بمجرد التبشير بوجود الله نظرياً ، فتعمد أن ينقش على قلب الإنسانية الاعتقاد الراسخ فى أن الله موجود ، وأن يجعل هذا الاعتقاد قوة واقعة فعالة فى حياتها .

والأمور الثلاثة المطلوبة من المسلم قد بينت فى بداية تنزيل القرآن الكريم بترتيبها الطبيعى :

« الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون .

الاعتقاد فى الله ، ذلك المغيب العظيم ، يؤدى مباشرة إلى المحافظة على تأدية الصلاة ، وذلك تدليل على أن الصلاة هى السبيل الذى يتبدل به الاعتقاد إلى إدراك

واقعى للقبس الإلهى فى الإنسان ، ثم إلى لمس بصرى لوجود الله ، ويتبع ذلك بالتالى الانفاق مما وهبه الله للانسان فى سبيل نفع الآخرين . وهكذا يكون الإيمان بالله قد انتقل من دائرة التصور إلى دائرة العمل بالصلاة ، التى تقود بدورها إلى خدمة الانسانية . والتطور الذاتى للانسان — فيما يرى النبى صلى الله عليه وسلم — مكفول بالصلاة ، منوط بأدائها :

« قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون » .

واللفظ العربى — نجاح — هو فلاح ، بمعنى الوصول التام لبلوغ كل ما يشتهيه الانسان . والفلاح ، « أو النجاح » ، والصلاة — عند النبى صلى الله عليه وسلم — توءمان متصل أحدهما بالآخر اتصالا وثيق العرا ، حتى ليعدان غالبا لفظين مترادفين ألم يأمر بأن ينطلق الأذان خمس مرات من فوق المآذن كل يوم :

« حى على الصـــلاة ، حى على الصـــلاة . »

« حى على الفـــلاح ، حى على الفـــلاح . »

ثم إن الصلاة لله تطهر قلب الإنسان ، وتكبت غايات نفسه الأثيمة :

... اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة . إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر . »

« وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل . إن الحسنات يذهبن السيئات . »

وأوضح النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ما أورده القرآن ، فخاطب أصحابه فى مناسبه خاصة قال :

« مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم ، يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقى من درنه ؟ » قالوا : لا شىء ، قال : « فإن الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن . »

كانت الصلاة عند النبى صلى الله عليه وسلم تطلعاً من النفس الانسانية إلى الاتصال بالروح القدسية ، غاية الطهر ، وجماع الأسماء الحسنى :

« له الأسماء الحسنى . »

« كونوا ربانيين »

والطريق الوحيد لانجاز ذلك ، هو الفوز بالاتصال مع الروح الالهى والتجرد

الكامل من كل نقائص البيئة البشرية إلى أجل ، والاغتراف من نبع الطهر والكمال المقدس ، قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« إذا قام أحدكم للصلاة فإنه يكون مناجيا لربه » .

وينبغي في الصلاة أن يكون الشعور بالحضرة الإلهية محسا كأنها حقيقة ماثلة :

« اعبد الله كما لو كنت تراه ، فإنك إن كنت لا تراه فإنه يراك » .

تظهر هذه المزايا الخاصة بالصلاة طبيعتها الحقة ، من حيث هي مثول واقعي في حضرة الذات الإلهية ، فمن كان يصلي لله بجد حقيق ، فهو إنما يصلي وهو على يقين أنه قادر على لقاء الله في هذه الحياة ذاتها !...

وفوق كل ذلك تدل الصلاة على طلب المعونة والهداية من الله . وطلب المعونة والهداية مرتبط بصلوات المسلم اليومية ، التي تتكرر قرابة أربعين مرة في اليوم الواحد :

« إياك نعبد ، وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم » .

وهكذا يكون المسلم مطالباً بأن يتوجه إلى الله بين الفينة والفينة سائلا ربه العون والرشاد في كل ما يعمل .

وفي أحد المواضع يشار إلى الصلاة على أنها زاد تقتات به روح الإنسان ، إلى أن الرجل الذي لا يؤدي الصلاة يعتبر روحيا في عداد الأموات :

« وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى . ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ، ورزق ربك خير وأبقى . وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ، لا نسألك رزقا . نحن نرزقك والعاقبة للتقوى . »

« ما متعنا به أزواجا منهم » من أمور تتصل بالحياة المادية وتحتاج إليها الأجسام فإذا ووزنت هذه الأمور بالصلاة ، فالصلاة « خير وأبقى » ، « رزق ربك » الذي تفتقر إليه روح الإنسان ، وعلى ذلك تكون الصلاه ضرورية بين آن وآخر نهاراً وليلا لتقتات بها الروح الآدمية ، كما أن الطعام ضروري بين وقت وآخر لتغذية الجسد .

القرآن والحديد

للدكتور محمد وصفى

(٢)

٢ — دورة الحديد فى الجسم :

وعلى أى صورة وصلت أملاح الحديد إلى الجسم عن طريق الفم سواء كانت فى صورة أملاح الحديديك أو أملاح الحديدوز فإنها تتحول أساسياً إلى ملح كلوريد الحديديك فى المعدة ، وعندما يختلط هذا الملح مع محتويات الأمعاء القلوية يتحول إلى كربونات الحديد وأكسيد الحديد . وهذه تتحول بدورها إلى سلفات الحديديك وتنات الحديد ، وذلك عند اختلاطها بالهيدروجين

المكبرث وحامض تنيك فى الأمعاء السفلى هكذا :

أملاح الحديد ← كلوريد الحديديك ← كربونات الحديد، أكسيد الحديد ← سلفات الحديد، تنات الحديد

(فى الفم) (فى المعدة) (فى الأمعاء) (فى الأمعاء السفلى)

ولا يمتص الجسم إلا مقادير صغيرة من الحديد . وتمتص حبيبات الحديد خلال الخلايا الابيثيولية ، وهذه الحبيبات تلتقط بواسطة كرات الدم البيضاء وينتهى بها المسار إلى الوريد .

وأما الحديد الزائد عن الحد فيختزن فى الكبد ، وإلى حد ما فى الطحال والنخاع فى العظام .

ويوجد الحديد فى المخ مثلا بنسبة ٠٠٢ ,٠ ٪ ، وفى العضلات بنسبة ٠٠٤ ,٠ ٪ وفى الكلى بنسبة ٠٠٥ ,٠ ٪ وفى الكبد بنسبة ٠٠٨ ,٠ ٪ وفى الرئة بنسبة ٠١ ,٠ ٪ وفى الشعر بنسبة ٠٨ ,٠ ٪ ، وأما مقدار الحديد فى الدم فيبلغ نحو ٥٠ ملليجراما فى كل ١٠٠ سم مكعبا منه ، ويوجد الجزء الأكبر منه فى صورة مركب الهيموجلوبين كما قدمنا .

ويطرد من الحديد خارج الجسم كل ٢٤ ساعة ما يبلغ نحو ملليجرام واحد مع البول ، ونحو سبعة ملليجرامات فى الفضلات التى تطرد من الأمعاء فى البراز .

٣ — أملاح الحديد واستعمالها فى العلاج :

ولإملاح الحديد منافع عظيمة — تعود على المرضى اللازم لعلاجهم الحديد لتصحيح أبدانهم حتى يتعودوا على تأدية وظائفهم الفسيولوجية على وجهها الصحيح فى غير ضعف أو وهن . وليتمكنوا من القيام بواجباتهم الدينية التى تحقق لهم سعادة الدنيا وتؤهلهم للفوز سالمين بالسعادة الحقيقة فى الدار الآخرة .

ونرى أن نضرب هنا بعض الأمثلة لمركبات الحديد التى تستعمل فى الطب مبينين ما نعتقد أنه يعطى القارىء فكرة عامة تساعده على الإلمام ببعض ما تهدف إليه كلمة (منافع) فى الآية الكريمة موضوع هذا البحث :

المركب الحديدى	الصفات الطبيعية	الصفات الطبية	المقدار بالجرام للكبار فى ٢٤ ساعة
حديد محضر بالهيدروجين	مسحوق أسود غير قابل للذوبان .	معوض ومقوى عام يستعمل فى حالات الأنيميا والكلوروز	٠,٥ — ٠,٥
ليمونات الحديد	صفائح لماعة حمراء قليلة الذوبان فى الماء	حديدى	٢ — ٢,٥
ليمونات الحديد والكينين	صفائح شفافة لماعة صفراء مخضرة تذوب فى الماء	حديدى مقوى مضاد للحمى	١ — ٣,٠
ليمونات الحديد النشادرى	صفائح لماعة حمراء تذوب فى الماء .	حديدى	٢ — ٣,٠

٤ — علاقة الحديد بالتغذية :

وإذا اعتبرنا أن عالم النبات له علاقة وثيقة بحياة الإنسان وصحته وجب علينا أن نبين ولو بإشارة عابرة شيئا عن تلك العلاقة ، فالإنسان لابد له لحفظ صحته أن يتناول الخضروات والفاكهة التى لا تنمو ولا تحيا بغير حديد إذ أن الحديد ضرورى ، كما قدمنا لتكوين الكلوروفيل ، ولذلك أوجد الله الحديد فى معظم الصخور وفى جميع الأراضى الزراعية .

(١) كيف يحصل النبات على الحديد :

ويحصل النبات على الحديد اللازم له من التربة ، لأن ملح سليكات الحديد الذى تحتوى عليه الصخور والتربة بفعل ثانى أكسيد الكربون الموجود فى الجو متحولا إلى كربونات الحديدوز ، والأخير قابل للذوبان فى الماء .

وأما كربونات الحديدوز فيتأكسد إلى أكسيد الحديديك ، وبذلك يعود ما به من ثانى أكسيد الكربون إلى الجو ، وحيث أن أكسيد الحديديك الناتج من عامل مؤكسد فهو يعمل على أكسدة البقايا العضوية التى فى التربة ، ويختزل هو إلى أحد مركبات الحديدوز الذى يتأكسد مرة أخرى إلى أكسيد الحديديك وهكذا . . أى أن وجود الحديد فى التربة يؤكسد المواد العضوية بأستمرار ويطلق ثانى أكسيد الكربون فى الجو .

(٢) الحديد فى النبات :

ونرى أنه من المناسب هنا أن نذكر أن الحديد ، كما تقدم يوجد فى جميع النباتات ، وهو يوجد فيها بالترتيب الآتى : البقول المجففة ، أوراق الخضروات ، الفاكهة المجففة ، البندق واللوز والجوز ، والحبوب ، والبقول الخضراء ، والجذور الدرنات ، والفاكهة الطازجة .

ولا شك أن النباتات لها خواص علاجية نوعية فوق احتياجنا إليها كغذاء وإذا لم يكن الحديد انعدم النبات بما فيه من صفات غذائية وطبية وانعدم تبعا لذلك الجنس البشرى بأكمله ومن هذا تستطيع أن تدرك الهدف السامى الذى يهدف إليه الله تعالى من لفت أنظارنا إلى منافع الحديد .

فضائل الأمة المحمدية

لحجة الاسلام الامام الغزالى

قال الله الكريم وهو أصدق القائلين (كنتم خير أمة أخرجت للناس)

وقال جل من قائل : (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ...)

وذكر عن أبى الدرداء قال : سمعت النبى عليه السلام يقول فى هذه الآية : يأتى السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب . ويأتى المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا ويتجاوز الله عنه ثم يدخله الجنة بفضله ورحمته ...

ثم يأتى الظالم لنفسه فيوقف ويوبخ ويعترف بذنبه ذنبا ذنبا ثم يدخله الجنة بفضله ورحمته ...

وفى هذا المقام قال جل من قائل : (الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن أن ربنا لغفور شكور) يغفر الذنب الكبير ويقبل العمل اليسير ، وذكر عن عمر رضى الله عنه أنه قال : سابقنا سابق ومقتصدنا ناج ، وظالمنا مغفور له . وقد مدح الله الكريم هذه الأمة بقوله المبين : (هو سماكم المسلمين من قبل) يعنى سماكم فى الكتب المنزلة من قبل القرآن . لأن الله مدح هذه الأمة فى التوراة والإنجيل والزبور ، وفى هذا ، يعنى فى القرآن ...

ثم قال : ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر) ومما فضل به هذه الأمة أن الله تعالى خصها بيوم الجمعة .

وقد كان اليهود أمروا بالجمعة فاختاروا السبت والنصارى أمروا بالجمعة فاختاروا الأحد .

ومما فضل به هذه الأمة أعطاهم الله ليلة القدر ، وجعل توبتهم من الذنوب بالاستغفار . وكانت الأمم السالفة تقتل نفسها عوضا عن الاستغفار . وكان الله إذا بعث نبيا يقول لما سأل تعط ، وقال لهذه الأمة : إدعونى أستجيب لكم .

وكان يقول أذهبوا فلا حرج عليكم وقال لهذه الأمة : وما جعل عليكم فى الدين من

حرج . وكان يقول لهم أنتم شهداء على أمتكم ، وقال لهذه الأمة : لتكونوا شهداء على الناس . وفضل هذه الأمة بالرحمة فقال عز من قائل ورحمتي وسعت كل شيء ، فطمع فيها إبليس وقال أنا شيء من الأشياء فأخرج بقوله فاكتبها الذين يتقون ويأتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . فطمعوا فيها أصحاب الأديان السابقة ، فقالوا نحن نتقوا ونأتوا الزكاة ونؤمن بالله ، فأخرجهم الله بقوله : الذين يتبعون الرسول النبي الأمي وجعلها أمة محمد عليه السلام وفضل هذه الأمة بالاستغفار من الذنوب إلى غير ذلك جعلنا الله منها وثبت الله أقدامنا على صراطها المستقيم . ؟

بل لا يا بهاء الدين !!

اشتراكيتنا مؤمنة لاملحدة !!

بقلم الأستاذ سعيد حمزة مكرم المحامى

بعد أن صدرت القوانين الثورية الاشتراكية الأخيرة تسابقت الأقلام إلى دراسة هذه التشريعات والتعليق عليها ؛ فمنها ما تناولها فى جد وتقدير لمسئولية الكلمة فاستطاع أن يدرك جوانب عريضة من فلسفتها ومغزاها وأهدافها ، ومنها ما لم يرتفع إلى مستوى الأحداث فلم ير منها غير أبعادها القريبة وفاته أن يحيط بجوانبها الموحية العميقة .

ومن الأقلام التى كنت أقدر لها التوفيق فى فهم هذه الأحداث الكبيرة قلم الاستاذ أحمد بهاء الدين رئيس التحرير بالاخبار ، غير أن الذى حدث غير ما كنت أتوقع قبدلا من يتعمق الامور إذا به يتناولها تناولا سطحيا خاطفا ، وبدلا من أن يكون جادا فى وقت الجد نراه وقد اندفع فى كلام لم يرتفع حتى إلى مستوى الهزل العابث!!

يقول الاستاذ بهاء الدين بعدد ١٩٦١/٧/٢١ تحت عنوان (المرأة والاشتراكية)

« . . . أننا كثيراً ما نرى إنسانا يؤمن بهذا النظام الاقتصادى وفوائده ، ونسمعه يتحدث عن هذا النظام فى اسهاب واقتناع حقيق ، ولكنه فجأة حين يتكلم عن شىء آخر بسيط جداً فى حياته الخاصة تكتشف أنه مازال — فى تكوينه الحقيقى — بعيداً تماما عن أن يكون اشتراكيا بالمعنى الكامل . . موضوع المرأة مثلا . . قد تجد هذا الشخص المشار إليه الذى يؤمن بالعدل الاقتصادى غير مؤمن بطريقة ما ، بنحو ما ، بمساواة المرأة بالرجل . إنه لا يعارض بالضرورة فى أن تذهب البنت إلى المدرسة وتتعلم وتشتغل ، فقد أصبح هذا أقوى من أن يعارضه المعارضون ولكنه لا يذهب إلى آخر الطريق . لا يعطيها مثلا نفس الحرية الشخصية التى يرى أن اعطاءها للرجل بديهى ، لا يعطيها المسئولية عن نفسها بنفس المستوى الذى يعطى به الرجل مسئوليته عن نفسه . هذا الإنسان ليس فى خلاياه الحقيقية اشتراكيا . . الخ . .

واحب أن أقف قليلا عند هذه السطور لأتساءل ماذا يقصد أحمد بهاء الدين بتعبير « الحرية الشخصية » ؟

لو أنه قال أن للمرأة حقوقاً مدنية منحتها إياها قوانين الأمم المتقدمة ويجب على المشرع العربى أن يحذو حذو هذه التشريعات ، لقلنا وجهة نظر تستحق الدراسة والمناقشة . . . ولو قال إن المرأة الأوربية أو الأمريكية أو الروسية تتمتع بحقوق « سياسية » أكثر وأهم مما تتمتع به المرأة العربية ، لطلبنا إليه المضى فى شرح قضيته ، فإن اقنعنا بوجهة نظره صفقنا له وساندناه ، وإن لم يستطع أن يقنعنا — أو لم نستطع نحن أن نقتنع — لم ننكر عليه حقه فى إبداء رأيه والدفاع عنه .

ترى هل يعنى بالحرية الشخصية للمرأة حقوقها « المدنية والسياسية » كما يسميها رجال القانون وكما يشيع على الألسن حتى بين العوام ؟

إذا كان يقصد هذا ففهم العناء وهو يعلم أن المرأة العربية قد حصلت فى ظل ثورة ٢٣ يوليو على حقوق مدنية وسياسية لا تزال بعض المجتمعات الأوربية تبخل بها على المرأة هناك .

أم هل يعنى بهاء شيئاً آخر بتعبيره الغامض المريب غير هذين النوعين من الحقوق؟ على ضوء هذا التحديد للمعانى ، وعلى ضوء كلام بهاء الدين نفسه حاولت أن أصل مخلصا إلى ما يهدف إليه .

يقول الكاتب (الملتزم) ! (وفى بيوتنا العربية توجد بيوت كثيرة تدخلها فتشعر على الفور أن نظام الطبقات سائد يتحكم فيها ، فبالرغم من أن البيت وحده اقتصادية واحدة إلا أنه من الناحية الاجتماعية ينقسم انقساما حقيقيا إلى طبقتين ، الزوج طبقة ، والزوجة طبقة أخرى ، أو الاخوة الأولاد طبقة والاخوات البنات طبقة أخرى . . الزوج يأمر زوجته بألا تبرح البيت ثم يعلن أنه خارج لقضاء الليل مع أبناء طبقته من الرجال ، أو الأخوة الأولاد يأمرون اخواتهم البنات بعدم التطلع من الشبابيك . . ثم يخرجون لمعاكسة بنات الجيران . . هذا أيضا نظام طبقات) . بل إنه أقدم وأعتى نظام طبقات ولا يمكن أن يمارسه اشتراكى حقيقى إنما يمارسه اشتراكى قلق غير متكامل ، قابل « للارتداد » فى أى لحظة . . الخ . .) :

لا يا أستاذ بهاء الدين (ملهمش حق أبداً) يجب على الرجل ألا يخطو خطوة إلا وزوجته إلى يمينه أو إلى يساره كالملاك الحارس أو كالرقيب العتيد ! ! ويجب على الاخوة الاولاد ألا يعكروا على إخواتهم البنات صفو علاقاتهم السعيدة مع أبناء

الجيران (ومفيش حد أحسن من حد) كما يقول المثل السائر، وإلا فهم ليسوا اشتراكيين حقيقيين، وإلا فالامر أيضا طبقية يستنكرها أنبياء الاشتراكية من أمثال أحمد بهاء الدين !!

لا يكفي في منطق الكاتب (الملتزم) !! أن تتعلم المرأة، وتنزل إلى ميدان العمل على قدم المساواة فضلا عن هذه السلسلة الطويلة من الحقوق المدنية والسياسية التي حصلت عليها — لتكون متمتعة بحريتها الشخصية !! فلا بد إذن أن تكون لهذه الحرية ظواهر أخرى هي أهم وأعمق من كل هذا في حساب كاتبنا الكبير كأن يكون مثلا للزوجة أو للأخت أو للابنة مطلق الحرية في أن تنشيء ما تشاء من علاقات مع من تشاء من رجال ونساء، وإن تأتي ما تشاء من تصرفات متى أرادت . . لا تسأل عما تفعل، فإذا أخطأ أب أو زوج أو اخ وأقحم نفسه في شئونها الخاصة هزت كتفها في سخرية واستنكار وقالت له بكل بساطة: هذه حريتي الشخصية أو «أنا حرة» كما يقولون في الأفلام !! وعلى الرجل أن يسلم لها بهذه الحرية وإلا فهو رجعي سلفي متأخر إلى آخر ما يطلقه عليه أمثال السيد بهاء الدين من . صفات !!

كان أولى بك يا أستاذ بهاء الدين أن تدعو الرجل والمرأة على السواء إلى تقديس المعاني الاجتماعية الكريمة، والقيم الخلقية التي أجمعت عليها الاديان وانتهى إليها الذوق البشري، وفي طليعتها قيمة العرض، فالعرض ليس احتكاراً لجانب دون الآخر وإنما هو شركة مقدسة بين الرجل والمرأة، يحملان معا امانتها كاملة وجليلة، فإذا امتهن أحدهما هذه الامانة فقد خان صاحبه كما اختان نفسه وما ابشع هذه النتيجة في ميزان النفس الطيبة.

وكان أولى بك يا أستاذ بهاء الدين أن تسمي الأمور بأسمائها فبدلا من أن تقول للخليعة أو للخليع «برافو هذه هي الاشتراكية» !! أولى بك أن تقول لها ما ابعدكما عن الخلق المجرد والخلق الاشتراكي على السواء.

أما وقد دعوت هذه الدعوة الصريحة إلى التحلل من بعض قيمنا الخلقية التي نعتز بها كمسلمين وكعرب بل وكبشر فإننا نقولها صريحة حاسمة لك ولكل من يحاول أن يشوه علينا جلال هذه الأحداث والأيام أو أن يزيف علينا اشتراكيتنا الصاعدة . . مكانك !! فاشتراكيتنا مؤمنة لا ملحدة، فاضله لا فاجرة، اشتراكية قوم يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله . ؟

الدين والحياة

الاستاذ حامد محمود الزفزي

لقد أشرت إلى أن الثورة العربية اليوم بما أوتيت من قوة الأندفاع وسعة الأفق هى المكان الزمنى الذى يمكن أن يتم فيه تمدد القوى والطاقات الأفراد والجماعة والأفكار والمناهج ، ما دامت تعمل لصالح الإنسان وتحاول إسعاده . وترتبط بوجوده التاريخى والتكوينى من حيث الغاية والوسيلة . ومن حيث الملاءمة بين ظاهر الانسان النشاطى — الاجتماعى والاقتصادى والسياسى — الفردى والجماعى الإنسانى الراهن وبين باطنة الوجودى الذى يراه فى الفكرة والاعتقاد والتفلسف . ويزن به تصرفاته وآماله . ولنسمه الروح أو النفس أو القلب أو العقل أو الأنا الوجودى . ثم تضع فى الاعتبار كل ما يمكن أن يخطو بالإنسانية إلى التطور الصاعد والغايات المشتركة النبيلة .

وإذا كان الدين هو أقوى العوامل التوجيهية للحياة فى معترك الفردية والبشرية بما أودع فيه من عمومية التنظيم واصالته . ومجاراته للطبيعة وتقويمه لخطة سير الفطرة . فنحن بعد عرض الظروف والعوامل الراهنة لانكون خارجين عن المنهج السوى — على الأقل فى نظرنا — إذا رحنا نبسط معانى وأهداف وأساليب الدعوات القيادية المعاصرة بجانب أسلوب .. ومعانى وأهداف الدعوة الدينية . ومدى قدرتها وصلاحية أساليبها لتنظيم استجابة الإنسان للحياة . حيث أن الأصل فى إيجاده هو إتاحة الفرصة له للتمتع بالوجود الكلى دون مصادرة أو كبت .

وبمقدار ما يكون هناك من قوة الدفع للإنسان والاحاطة بجوانب نشاطه وبالتالى قيمة النتائج التى تحقق السعادة الوجودية للبشرية لأية دعوة تكون قيمتها أصالتها

التربوية . وأحقيتها فى الاتباع والسيطرة على صعيد التوجيه . ونحن فى هذا العرض ليس لنا رائد سوى الحق الذى نؤثره على أفلاطون .

وفى واقعنا الماثل اليوم للعالم نرى دول الاشتراكية فى درجاتها المتعددة معتدلة ومتطرفة او متوسطة تدين بالمادية الجدلية كعقيدة أساسية تنطلق من دائرتها وتدعو لأسلوبها ومبادئها . وهذا الجمع الكبير يضم روسيا والصين ومن لف لفهم . وقد ربطت هذه الشعوب عقيدة فلسفية واحدة قوامها الالحاد والإيمان بالاقتصاد وسيطرته على الحياة وسير التاريخ .

وفى أوربا الغربية وأمريكا ومن فى فلكهم تعيش هذه المجتمعات لا على عقيدة أو مبدأ سوى الحرية الفردية فى الاقتصاد. والديمقراطية الدستورية فى الحكم . والتحلل من العقائد الدينية الصحيحة . وإن ادعت أنها حامية المسيحية أحيانا . والمناهضة للمادية فى كثير من الحركات . وهى تمثل جزءاً كبيراً من أفراد العائلة البشرية .

وفى آسيا وإفريقية جماعات بوذية ووثنية ليس لها منهج أو خط تربوى فى حياة الفرد والجماعة فى إرادة الاصلاح أو اسعاد الانسان مرتكز على فلسفة فى العقيدة أو مبدأ فى الاقتصاد أو سلوك فى الدفاع عن قيم ومثل . ولكنها أشبه بالعزلة الفردية لتصفية النفس بأساليب عتيقة . ومناهج مريضة . هى ضرب من الرهبنة الأرضية المهزوزة .

ثم يأتى مركز الشعوب الاسلامية . وهى من التفكك السياسى . والعطل التوجيهى والضحالة فى مركز القيادة الملتزمة بمبدأ معتقدها وتنفيذ تعاليمه بما رأينا وأشرنا . بحيث تعتبر بالنسبة له بعيدة كل البعد عن مناهجه وأساليبه فى حياة الأفراد الاجتماعية وفى حياة الجماعات الاقتصادية والسياسية والتربوية وفى حياة البشرية فى البيان والدعوة إليه والكشف عن مدى قدرة الاسلام لمعالجة المواقف الانسانية وحل قضايا المدنية المعاصرة من استعمار وغيره فهى شعوب إسلامية بالوراثة والمستخرجات الرسمية ، وبعض الرسوم التعبدية كالصلاة العجفاء . والرموز الجوفاء . بل إنها ظل لحقيقة مسطورة فى القرآن الكريم ، وشبح لذكرى أمة حولت مجرى التاريخ الإنسانى وبنت الأجيال والأفكار والفلسفات وهم بهذا الحال بين الماديين والمتحللين واليهودية (الصهيونية الفاجرة) التى خطت مآربها وغايتها فى (برتوكول صهيون) مريدة خلق الانقسامات والحروب حتى يبيد العالم وتبقى هى كل شىء كما يقول الكتاب المذكور . وبين الوثنيين . الشعوب الاسلامية بين هذا وذلك أشبه بذبالة تلعب بها الرياح فى

ليلة عاصفة باردة ، إذا تداركها يد مصلح مخلص ومؤمن صادق وإنسان رحيم وزعيم جرىء أمكن أن ينفحها من زيتونة لا شرقية ولا غربية يضىء زيتها ويعم نورها وتضىء الطريق ويعشو إلى نارنا المدلجون ، وعند ذلك ينقلب الالحاد إيمانا ، والجحود اعتقادا ، والانحلال التزاما . والوثنية توحيدا وتنزيها وتنكب الأوهام وتتحطم الرموز وتكون الارواح بعد الأشباح والحقائق بعد الأوهام .

وليست الدعوة القرآنية بحاجة إلى حرب وطعان ، بقدر ما هى بحاجة إلى كشف وبيان . وعمل وإيمان . وما دام المصدر ماثلا بين أيدينا كما هو يوم أن قامت وتأسست دولة الدعوه الكبرى فما أجدرنا نحن القرآنيين أن نشمر عن ساعد الجد والحزم ونربط على قلوبنا ونقوم بواجبنا حيال عقيدتنا ومجتمعنا الإسلامى والبشرى إذ الحقيقة أن الدين التزام بمسئولية ، وحرية ديمقراطية ، وخطة تعاونية ، وحياة إشتراكية ، وهو يقوم عل أساس سيكلوجى وبيولوجى وروحى وإقتصادى . فهو يرسم الطريق السديد لكل اندفعات الانسان الروحية والجسدية والعقلية . والدين الذى هو منهج دعوات الرسل والأنبياء جميعا من لدن آدم حتى محمد عليهما السلام وإن اختلفت أشكاله وصوره فإنما كان ذلك ليوائم بين غايته وظروف الزمان والمرحلة التطورية للمجتمعات التى جاء ليصلحها . والدين إسلام القياد فى الحركات التنظيمية — فردية وجماعية — لرب العباد الذى خلقهم وهو عالم بما يصلح أمورهم .

وهو دين إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام . إن الدين عند الله الإسلام وهو بهذا المعنى له وجهان وتوجيهان . وجه وتوجيه داخلى وذاتى هو علاج روحى وتربية وجدانية وقيادة باطنية اشفاء القلب من الأوهام والوساوس . وصقل الذات وتصفيتها من الحقد والأنانية والاستعلاء وإستعباد الآخرين . أو قبول المهانة والذل والخنوع . وذلك يتمثل فى عقيدة التوحيد . توحيد الله الذى خلق الوجود بما فيه . وأنه وحده مرجع الأمر . وأنه لم يخلق الوجود عبثا . وإنما لحكمة وغاية . وهو وحده القائم دون بداية أو نهاية وما عداه كائن محكوم عليه بالمخلوقية ومتأثر بالزمان والمكان ، فلا طبيعة ولا وثن . ولا أوهام ولا أشباح لها آثار فى الإيجاد أو الإبداع . وبهذا التوحيد الخالص تصح عقيدة الإنسان ، ويكون منهج الروحية الصحيحة وطريق الرشاد .

شهد الله أنه لا إله الا هو . الله أحد . الله الصمد . لم يلد . ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد .

ولقد تتبعنا دعوات الرسل فلم نعثر على حقيقة أروع ونقطة أهم وأولى من تخليص الناس من أدران الشرك وتسلط الملوك والقادة عليهم وإستعبادهم واستر قاقهم بالمال والرياسة والتفاضل بالأحساب والأنساب ثم ينسلون إلى هذا الزعم الزائف الذى صوره القرآن أروع تصوير . فى حجاج إبراهيم لنمروذ وهو يقول واهما . أنا أحيي وأميت قال ابراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب . فبهت الذى كفر . وارتدت نفسه الجامحة وظله الطاغى وإستعباده الآثم . وأدرك أنه أمام قوة الحجة الدامغة ، وفرعون القائل فى مصره عندما أستخف قومه فأطاعوه . أنا ربكم الأعلى ، ويلقمه موسى الرسول الحجر عندما يسأله اللعين فمن ربكما ياموسى . ؟ قالا ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى .

وهكذا نجد أن أمر الرسالات يقوم أولا على الاعتراف الصادق والواقع المنطق . بوجود أكبر وأعظم . هو الخالق الأحد . عقيدة التوحيد . . وإذا كنا فى عصر الفضاء وظن الناس أنهم قادرون على أمر الحياة . فهل لنا أن نسألهم فى بساطة وسهولة عن شىء واحد ؟ . إذا كان العلماء قد عرفوا تركيب حبة الحنطة ومقادير كل مادة فيها . فإذا استطاعوا ان يقوموا بتركيب حبة فى المعمل بالمقادير والكيفيات التى جربوها . ثم . وضعوا تلك الحبة فى التربة وأنبتت إذن لآمنا بأن الطبيعية تتصرف دون يد الله . وسيقول السفهاء من الناس لسنا بحاجة إلى هذا العمل لأنه لا يجدى فى مجال الاقتصاد . ولكنى أقول ذلك فى مجال إقامة الحجة والبرهان . وإذا كانت معاملهم إنما تقوم بتحليل وتركيب وكشف وإختراع من مادة الحياة وخامة الوجود القائم الذى ليس من عمل الانسان فهل لهم أن يبدعوا ويضيفوا شيئا ما . أى شىء . ليس مما هو موجود . وعند ذلك نسلم لهم حقيقة بأن الانسان اله الأرض وأن المادية دينه وأن الالحاد شريعته . ولكنى أقول لهم مقدما . ياقوم لن تبدعوا ذبابا ولو اجتمعتم له . وان يسلبكم الذباب شيئا لن تستنقذوه منه . ضعف الطالب والمطلوب فى جانب الخالق العظيم . ويصبح بديهيا بعد ذلك أن الايمان بموجد مبدع هو أولى الخطوات . وهو حقيقة الاعتقاد الاسلامى . ومنهج الدين وهذا الاعتراف يصفى القلب ويقود الروح ويجلو النفس لتنطبع عليها الفضائل ويفاض عليها من الروح الوجودى العام ما يلهمها الصواب ويهديها إلى طريق الرشاد .

وإنما هذا الايمان التوحيدى استجابة أو تنظيم لاستجابة فطرية هى التطلع والتشوف وإجابة أو تنظيم إلى حالة التساؤل الذى يدور فى خلد الانسان وفى باطنه الادراكى

الذى يعيش فيه ويحس وجوده خلاله ، ولما كان الاعتراف بمبدأ أول وخالق يرجع إليه دافعاً غريزياً واتجاها طبيعيا . وكثير مايستغله الجبابره والطغاه أو يقوده الجهل أو الاحتكار والانانية الشريرة . فينطفىء نور الفطرة .

ولما كان الوجود أبدع لغاية . ومخلوق لحكمة . والانسان هو قمة الحياه ومأرب الخلق . لم يكن الله ليترك الفطرة للعواصف والأهواء . ولم يكن ليكلفه فوق طاقته . والناس فى الفطرة أمة واحدة . لذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين . ليشعلوا برسالاتهم شموع الفطرة المستعدة للحياة فى أدوار الوجود وانقلاباته السرمدية الكبرى . ؟

« يتبع »

نساء صوفيات

١ – رابعة بنت إسماعيل

للأستاذ فوزى عرفة

رابعة بنت إسماعيل الشامية أو رابعة فى بعض الأقوال هى زوجة أحمد بن أبى الحوارى وزوجها أبو الحسن أحمد بن أبى الحوارى ، واسم أبى الحوارى ميمون من أهل دمشق صحب أبا سليمان الدارانى وسفيان بن عيينة ومروان بن معاوية الغزاوى وبشير بن السرى وأبا عبد الله النباجى وغيرهم من المشايخ – رضى الله عنهم أجمع – وله أخ يقال له المولى بن أبى الحوارى يجرى مجراه فى الزهد والورع وابنه عبد الله من الزهاد وأبوه كان من العارفين والورعين فبيتهم بيت الورع والزهد . مات سنة ثلاثين ومائتين . (مناقب الأبرار وشعار الأخيار للجهنى) .

ومعنى هذا أن رابعة بنت إسماعيل عاشت فى بيئة متدينة زاهدة من ناحية زوجها أما أصلها فيكاد يكون مجهولا فلسنا نعرف من اسم أبيها سوى أنه كان يدعى إسماعيل وأما شهرتها فالغالب عن نسبتها إلى زوجها وتكاد تجمع الكتب التى ذكرتها على إغفال هذه النقطة الهامة فيقول صاحب كتاب « سير السالكات المؤمنات الخيرات » أبو بكر الحصنى « ومنهن رابعة بنت إسماعيل زوجة أحمد بن أبى الحوارى خادم أبى أبى سليمان الدارانى الصوفى رضى الله عنهم » ويقول صاحب مرآة الزمان « ابن الجوزى « عامة الرواة على أن اسمها رابعة وكانت فى العبادة والزهد مثل رابعة بالبصرة بل أبلغ » ويقول عبد الرحمن الجامى فى كتاب « نفحات الأنس من حضرة القدس » « رابعة الشامية رحمها الله تعالى هى زوجة أحمد بن أبى الحوارى » . وهكذا تجمع المصادر التى تتحدث عنها على ذكر اسم زوجها دون التحدث عن أبيها وأهلها .

ونحن نعرف عن زوجها أنه كان خادم أبى سليمان الدارانى ومن هذه النقطة يمكن لنا أن نحدد المعالم الرئيسية التى أثرت فى رابعة بنت إسماعيل . فأبو سليمان الدارانى كان كبير الشأن فى علوم الحقائق والورع وتجمع الكتب التى تتحدث عنه على أن تجعل أحمد بن أبى الحوارى زوج رابعة محدثاً عنه . وأما تصوف الدارانى فقد امتاز بما يلى:

مطالبته بنظافة القلب وإيمانه بالفتح فيقول : « إن الله تعالى يفتح للعارف على فراشه مالم يفتح له وهو قائم يصلى » ووجدانه اللذة فى التعبد والزهد والجوع فكان يقول : « إذا أردت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة فعليك بالجوع ثم اسألها وذلك لأن الأكل يغير العقل » وكان يغالى فى ترك الشهوات مجافياً لكل مايشغله عن الله فيقول : « ما شغلك عن الله تعالى من أهل أو مال أو ولد فهو عليك شئوم » وقد امتنع عن الزواج انتظار المدخر الحور ، قال : « نمت عن وردي فإذا أنا بحوراء تقول لى : تنام وأنا أربى لك فى الخدور منذ خمسمائة عام » وهكذا لن نتعجب عندما نرى هذه الخصائص وقد أخذتها رابعة بنت إسماعيل فأثرت فى حياتها وفى طريقتها فى التصوف.

فهى فكانت تؤمن بنظافة القلب حتى يمتلىء بذكر الله سبحانه وتعالى : دعاها زوجها يوما فلم تجبه ثم بعد مدة أجابته وقالت إنما منعنى أن أجيبك أن قلبى قد امتلأ فرحا بالله فلم أقدر أن أجيبك » .

ويبدو أنها كانت غنية إذ يذكر الحصنى فى كتاب « سير السالكات » ما يلى على لسان زوجها « كان معها سبعة آلاف درهم أنفقتها على » ويذكر مايلى : كانت « تقول: لست أحبك حب الأزواج إنما أحبك حب الإخوان وإنما رغبت فيك رغبة فى خدمتك وإنما أحب أن يأكل مالى مثلك ومثل إخوانك وكانت إذا طبخت قدراً قالت : كله يا سيدى فما نضجت إلا بالتسبيح . وقالت . لست أستحل أن أمنعك نفسى وغيرى . اذهب فتزوج ! فتزوجت ثلاثا فكانت تطعمنى اللحم وتقول : اذهب بقوتك إلى أهلك » .

وهكذا تبدو لنا فى صورة المرأة الغنية التى تزوجت فامتلأ قلبها بحب الله تعالى فخشيت أن يشغل قلبها شاغل من شواغل الحياة الدنيا فانقطعت إلى الله تعالى إلا أنها تزينت بأريحية كريمة فربما كان دافعها إلى الزواج فقر زوجها لتحفظ عليه ماء وجهه أو ربما يكون دافعها إلى الزواج حبها لمعاشرة هذا السيد الكريم . ومهما يكن الدافع فإن فيما أسلفنا من نصوص يبين لنا أنها حفظت وده ورضيت بسماحة نفس أن تهبه زوجات وكانت تقوم بخدمة هؤلاء الزوجات الثلاث وتصرف عليهن من مالها مشاركة لا استعلاء . ولعل هذا هو السبب الذى جعل ابن الجوزى يقول فى مرآة الزمان : « كانت فى العبادة والزهد مثل رابعة بالبصرة ، لا بل أبلغ » فهاهنا التفضيل ينظر إليه من ناحية ميلها إلى التصوف وهى غنية واحتقارها للمال وهو بين يديها وخوفها من الله تعالى خوفا ملك عليها حسها ووجدانها .

وكانت تؤمن بالفتح قال أحمد ابن أبى الحوارى : قالت لى رابعة : أى أخى ! أعلمت أن العبد إذا عمل بطاعة الله أطلعه الجبار على مساوىء عمله فتشاغل به دون خلقه » . (صفة الصفوة لابن الجوزى) قال وكانت تقول : ربما رأيت الجن يذهبون ويجيئون وربما رأيت الحور العين يسترون منى بأكمامهن (سير السالكات) ولهذا يروى عنها صاحب مرآة الزمان ما يلى : قال أحمد بن أبى الحوارى يوما كان عندها طشت قالت : ارفع هذا الطشت لأنى أرى أن الأمير هارون مات فبعد تفحص تحقق أن هارون الرشيد مات ذلك النهار .

وأما وجدانها اللذة فى التعبد والزهد والجوع فذلك ما تجمع عليه الكتب التى ذكرتها . يقول الشعرانى فى الطبقات الكبرى : « كانت تقوم من أول الليل إلى آخره وتصوم الدهر وتقول ما مثلى يفطر فى الدنيا » وكانت تذكر الله تعالى حتى فى أكلها . روى عنها زوجها هذه الرواية فقال . جلست آكل فجعلت تذكرنى فقلت دعينا بهذا طعامنا بطعامنا فقالت : « ليس أنا وأنت ممن يتنغص عليه الطعام عند ذكر الآخرة » ثم قال : قالت لى : إنى لأضن باللقمة الطيبة أن أطعمها نفسى وإنى لأرى ذراعى قد سمن لأحزن » ووصفها زوجها فقال : « كنت إذا نظرت إلى وجهها ورقبتها فأحزن لذلك وكنت إذا أردت قربها نهاراً تقول : أسألك بالله تعالى لا تفطرنى اليوم وإذا أردتها بالليل تقول : أسألك بالله لما وهبتنى لله عز وجل هذه الليلة » وقال لها وقامت بليل : قد رأينا أبا سليمان وتعبدنا معه ما رأينا من يقوم من أول الليل ! فقالت : سبحان الله ! مثلك من يتكلم بهذا إنما أقوم إذا نوديت .

وأما أحوالها فكانت مختلفة : مرة يغلب عليها الحب ومرة يغلب عليها الأنس ومرة يغلب عليها الخوف فكانت فى حال الحب تقول :

حبيب ليس يعدله حبيب ولا لسواه فى قلبى نصيب
حبيب غاب عن بصرى وشخصى ولكن فى فؤادى ما يغيب

وفى حال الأنس تقول :

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى وأبحت جسمى من أراد جلوسى
فالجسم منى للجليس مؤانس وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

وفى حال الخوف تقول :

وزادى قليل ما أراه مبلغى ... أللزاد أبكى أم لطول مسافتى
أتحرقنى بالنار يا غاية المنى ... فأين رجائى فيك أين مخافتى

* * *

إلا أن ما يميز رابعة بنت إسماعيل ويجعلها ذات قيمة فى تاريخ التصوف هو تلك الصفة الغالبة عليها والتى يمكن لنا أن نسميها بالتمثل . وقد ظهرت هذه الصفة عندما نظرت إلى الأشياء الخارجة لا على أنها أحداث منفصلة وإنما على أنها رموز تمثل مخاوفها من الدار الآخرة . أنظر إليها تقول : ما رأيت ثلجاً إلا تذكرت به تطاير الصحف . ولا جرادا إلا ذكرت به الحشر ، ولا سمعت أذانا إلا تذكرت به منادى يوم القيامة فهى تنظر إلى الأشياء على أنها دلائل لعذاب يوم القيامة الشديد فالثلج يذكرها بتطاير الصحف والجراد بالحشر والأذان بمنادى يوم القيامة . وهذا التمثل ينتج من حساسية جمالية رقيقة يجعلها تصفو بنفسها وتعلو بها من نطاقه المحسوس إلى مراكز الجمال والجلال .

هذا التمثل للأشياء ولد عندها حساسية جمالية جعلها تستغرق فى تأملها والنظر إليها فهى ترى الجن بصفاء بصيرتها والحور العين يستترن منها وكان زوجها إذا دعاها لا تجيبه حتى إذا ارتشفت من الجمال عادت إليه تقول : إنما منعنى أن أجيبك أن قلبى قد كان امتلأ فرحا بالله عز وجل فلم أقدر أن أجيبك ، وقد غلب عليها هذا التمثل حتى فى النظر إلى زوجها فلم يكن زوجها فى نظرها زوجا يستدعى عوامل الإثارة والشهوة إنما كانت تنظر إليه على أنه أخ من أخواتها فكانت تقول له : لست أحبك حب الأزواج وإنما أحبك حب الأخوان وإنما رغبت فيك رغبة فى خدمتك وإنما أحب وأتمنى أن يأكل مالى مثلك ومثل إخوانى ، وكانت ترى أنها لا تفعل إلا بأمر فإذا قال لها زوجها : قد رأينا أبا سليمان وتعبدنا معه فما رأينا من يقوم من أول الليل قالت : سبحان الله ! مثلك يتكلم بهذا إنما أقوم إذا نوديت » .

وهكذا نستطيع أن تحدد الصفة التى تميز رابعة بنت إسماعيل الشامية إلا وهى صفة التمثيل فإذا كانت رابعة العدوية تمتاز بالحب الذى أسلفنا تبيانه فإن رابعة الشامية طرقت بابا جديداً فى التصوف وهو باب النظر إلى الموجودات على أنها رموز ودلالات لموجودات خفية وتلك لعمرى صفة ستفعل فعلها فى تاريخ التصوف حيث

يصبح للصوفية رموزهم الخفية التي يعبرون عنها بالألفاظ الظاهرة والتي لا تدل في الحقيقة على مسمياتها المباشرة .

وليس معنى ذلك أن صفة التمثل لم تكن موجودة قبل رابعة بنت إسماعيل الشامية فهناك قصص تدل على وجود هذه الحالة عند الصحابة والتابعين : روى عن الربيع بن خيثم أنه كان يذهب إلى ابن مسعود رضى الله عنه فمر بحانوت حداد فرأى الحديدة المحماة في الكير فغشي عليه ولم يفق إلى الغد فلما أفاق سئل عن ذلك فقال تذكرت كون أهل النار في النار فهذه القصة وأمثالها تدل على وجود التمثل الذى استغرق قلوب الصوفية إلا أن التمثل عند رابعة بنت إسماعيل كان أظهر وأوضح وأبين وأفصح .

كما أن تمثلها يمتاز بأن حواسها لم تغب عنها ومن ثمة لم تسمه غيبة لأن الغيبة غيبة القلب عن علم ما يجرى من أحوال الخلق لاشتغال الحس بما ورد عليه بل ربما يغيب عنه الإحساس بنفسه أيضا . ولم نسمه سكراً لأن السكر غيبة مضاف إليها وارد قوى كما لم نسمه « راموز العلو » لأنه يكاد يتصل بالذات الإلهية فقط دون التعلق بما هنالك من أشياء وقد رأينا أن رابعة كانت تستغرق في الجمال إلا أنها تحس من حولها وما حولها ولا تغيب عنه وهذا هو موضع الجدة عندها والطرافة في طريقتها مما جعل الكثيرين من الصوفية يذهبون إليها ليأخذوا عنها : حكى أبو نعيم عن سرى السقطى قال قدمت الشام فدخلت على أحمد بن أبى الحوارى المسجد فسلمت عليه وقلت : عظنى وأوجز فقال : « ما أحسن ولكن سر إلى المنزل ففيه من يحسن قال : فخرجت أطلب منزله وإذا براهب كبير خلفه صغير فقلت للصغير لم تتبع هذا ؟ فقال : لأنه طبيبى يسقنى الدواء قال فورد على قلبى من كلامه شيء لا أعقله فجئت إلى منزل أحمد فطرقت الباب فكلمتنى امرأة من وراء حجاب فذكرت لها قول الراهب قال فقالت « ياليت شعرى أى دواء يسقيه : دواء الإقامة أم دواء الراحة ؟ » فقلت : بيني ما تقولين فقالت أما دواء الإقامة فالكف عن محارم الله تعالى وأما دواء الراحة فالرضا عن الله تعالى . قال سرى : فوالله ما خرج كلامها من قلبى أبدا .

وهذه القصة الصغيرة تشير إلى تلك اللغة الرمزية التي وصلت إليها رابعة بنت إسماعيل والتي وجدت عند رابعة العدوية عندما جعلت الحب : حب هوى وحبا لذات

الحب والتى سوف تتسع دائرتها بعد ذلك حتى تصبح لغة مستقلة يتداولها الصوفية فى كتبهم ويضعون لها المعاجم المفسرة حتى تكون العبارة إشارة لذلك الجانب الذى يسمو عن المحسوس .

وقد توفيت رحمها الله سنة خمس وثلاثين ومائتين كما يقول المناوى وأجمع عليه مؤرخوها خلا الجوزى صاحب مرآة الزمان الذى رأى أنها توفيت قبل زوجها أحمد فى سنة تسع وعشرين ومائتين .

ودفنت برأس زيتا ببيت المقدس رحمة الله عليها ؟

احتفالات مشيخة الطرق الصوفية

بالمولد النبوى

احتفل العالم الإسلامى بأقدس ذكرياته ، وأخلد أيامه ، بذكرى مولد سيد الأنبياء وخاتم المرسلين سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه .

وكان للصوفية كعهدهم المقام الأول فى إحياء هذه الذكرى فى كل بقعة يذكر فيها اسم الله .

وقد أصدرت المشيخة العامة للطرق الصوفية تعليماتها إلى رجال الطرق فى سائر أنحاء الجمهورية العربية لإقامة الاحتفالات اللائقة بجلال الذكرى ، على أن يراعى فى هذه الاحتفالات المظهر الدينى السليم ، وأن تخلو من كل ما يشوه جلالها من عادات وطقوس دخيلة على ديننا .

كما بذلت المشيخة جهدها الكبير فى إعداد وتنظيم ساحة المولد بأرض الغفير بالعباسية .

وبدأت الاحتفالات الكبرى بتلك الساحة قبل المولد الشريف بأربعة أيام ، حيث أقيمت السرادقات الفخمة الفسيحة التى امتلأت بالذاكرين والعابدين وفتحت أبوابها لروادها من كل مكان وبذلت برها وطعامها للقاصدين والزائرين ، وعقدت ندوات الوعظ والإرشاد والحديث عن هدى أكرم المرسلين .

وفى الليلة الختامية ازدحم سرادق المشيخة العامة على سعته بكبار رجال الجمهورية وصفوة أهل العلم والدين ، ونخبة من سفراء الدول العربية والإسلامية .

وفى تمام الساعة السابعة اتجه أبناء الطرق برايانهم وشعاراتهم إلى السرادق .

وفى تمام الساعة الثامنة شرف السرادق السيد الأستاذ أحمد عبد الله طعيمه وزير الأوقاف نائباً عن السيد رئيس الجمهورية ، فى حضور حفل الصوفية .

وفى هذا الجو المشرق بنور الله ورضاه فى يوم مولد رسول الله ، رتل المقرىء المعروف الشيخ مصطفى اسماعيل آيات الذكر الحكيم ، مفتتحا الحفل العظيم .

ثم وقف سماحة السيد محمد علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية ، يلقى القصة النبوية الشريفة وقد نشرناها بنصها الكامل فى هذا العدد .

وفى التاسعة والنصف أطلقت الصواريخ النارية من ساحة المولد ابتهاجا وتكريما للذكرى الخالدة

أعادها الله على العالمين العربى والإسلامى بالخير واليمن والبركات ، وصلوات الله وسلامه وبركاته على صاحب الذكرى .

الرسالة الكبرى

لسماحة السيد محمد علوان

« نص الكلمة التى ألقاها سماحته
فى الحفل الرسمى ليوم الذكرى »

سيدى نائب السيد الرئيس :

أيها السادة :

ربنا افتح قلوبنا لإلهامك ، وأفض علينا من أنوارك ، وهب لنا من لدنك ، قولا مبيناً ، ولحنا مضيئا ، نقدمه فى يوم الذكرى ، حبا وتسبيحا ، وإجلالا وتقديسا ، لصفوة خلقك ، وسيد أنبيائك ، وإمام رسلك ، الذى جعلته هديتك لعبادك ، ورحمتك لخلقك ، ونورك الذى صحب كتابك ، ليبينه للناس ، ميسرا بلسانه ، متجليا فى أخلاقه ، متحققا فى آدابه وكمالاته .

سيدى يارسول الله :

لقد أعطاك ربك مالم يعطى لسواك ، فشرح صدرك ، ورفع ذكرك ، وأعلى قدرك ، وأعطاك المقام المحمود الذى لا ينبغى لسواك ، وأخذ على النبيين كافة ميثاقا وعهدا ، أن يؤمنوا بك ، وأن ينصروك ، ليكون الإيمان بك ، والإنتصار لك ، علامة الإيمان بالله ، من لدن آدم ، حتى يوم القارعة الكبرى .

وبميراث منك يارسول الله . أصبحنا شهداء على الناس ، وغدونا أمناء على خطو الإنسانية واتجاهها .

فنحن ملح الأرض ، إن استقمنا استقامت ، وأن انحرفنا انحرفت ، وتلك هى الأمانة الكبرى التى حملناها ، وذلك دورنا القيادى العالمى .

سيدى يارسول الله :

لقد جئنا فى يوم الذكرى . لنحاسب انفسنا ، ونستعرض يومنا وغدنا ، جئنا محاولين ، أن نكون جديرين بشرف الإنتساب إليك ، والتلقى عنك .

وذكراك الحقه يا رسول الله ، هى أن نرتفع إلى مستوى الأمانة العالمية الربانية ، التى حملت أعلامها ، وأشعلت مصابيحها .

ترتفع إلى مستوى الرسالة والرسول ، ترتفع إلى أفق الكتاب المقدس ، ذلك الكتاب الذى لا ريب فيه ، هدى وأمنا وسلاما للعالمين .

لقد جئت يارسول الله ، لتضع عن البشرية إصرها وأغلالها ، جئت لتحطم كل وثن من أوثان المادية ، وكل قيد من قيود الجاهلية ، جئت لتحرر الإنسان من عبودية الإنسان .

جئت لتحطم بوهج الكلمة الطيبة المباركة البناءة ، والاحتكارات الاستغلالية التى قسمت الناس فى عالم الروح ، إلى آلهة وعبيد ، وقسمت الناس فى عالم المادة ، إلى طبقات يتطى بعضها بعضا .

لم تأت يا رسول الله ، بمنهج نابع من الارض ، فرضته ضرورة اقتصادية ، ولا بإصلاح اقتضته ظروف اجتماعية ، ولا برسالة حتمتها حروب طبقية ، ولا بمطامع عنصرية عسكرية ، تستهدف الكبرياء والإستعلاء .

وإنما جئت بكلمات الله الشاملة ، التى لا تعرف الزمان ولا المكان ، كلمات الله ، التى تصنع الإنسان الكامل ، وتبدع العالم المثالى الربانى ، عالم حر ، لا يمشى مكبا على وجهه ، يقتات بالدماء ، ويتصارع للفناء .

عالم تحكمه الروح لا الغريزة ، وتسوده العدالة لا القوة ، وتهيمن عليه الأخلاق لا النفعية ، وتقوده فكرة تؤمن بالإنسان لا بالآلة

عالم تناسقت فيه وتعاونت كافة القوى الإنسانية ، عالم يؤمن بالروح ولا يجحد المادة ، ويحترم العقل والعلم ولا يتنكر للإيمان والعبادة ويقدس العمل ولا يلوى بعنقه عن الأخلاق .

ويتوج هذا كله ، ارتباط لا تنفصم عراه ولا يخبو سناه ، ارتباط الإنسان بالله ، وبهذا الارتباط الحى المتلألىء ، ترتفع الأسوار الشاهقة التى تعصم الانسان ، من انطلاقات غرائزه ، وشعار شهواته ، وكبرياء ذاته .

سيدى يا رسول الله .

منذ شهر تماما وقف رجل امتزجت تعاليمك بقلبه ، وأضاءت كلماتك روحه ، ليسمع الدنيا ، أن أرض النبوات والرسالات تتهيأ لدور قيادى عالمى من جديد .

منذ شهر تماما يا رسول الله ، فى العيد التاسع لثورة الأحرار البناة ، وقف زعيمنا ، وقائد بعثنا ، وموجه تاريخنا ليعلن انطلاقة شعبك العربى ، من إسار المواريث الرجعية ، ومن قيود الطبقية الاستغلالية .

وقف ليعلن كرامة الإنسان ، التى ضاعت وأهدرت واختفت داخل الأسوار الشاهقة ، التى شادها المحتكرون والمستغلون .

وقف ليعلن حق الإنسان فى حياة فاضلة ، وفى عمل شريف ، وفى مجتمع تتكافؤ فيه الفرص ، وتتساوى فيه الاقدار ، وتتعاون فيه الطاقات ، وتتجلى فيه الكفاءات .

مجتمع حر سليم ، مبرأ من الصراع ، مطهر من الشهوات ، يصنع بيده وبعرقه وبإيمانه يومه المشرق ، وغده الشامخ .

مجتمع يتكون من خلايا حية نشطة هادفة ، لا مكان فيه لمصاصى الدماء ، ولا مقعد فيه للمترفين العاطلين .

مجتمع يسير على تخطيط هادف ، وعلى منهج محرر يستهدف التوازن الاقتصادى ، والعدل الاجتماعى ، والبعث والإنطلاق للقوى الشعبية العاملة ، التى صنعت كل تاريخ مضىء ، ودعمت كل بعث منطلق .

سيدى أبا الزهراء :

إن إجلال العمل وتقديسه ، وتحرير الطبقات من الرق المادى ، وتكافؤ الفرص فى المجتمع التعاونى ، والحد من طغيان رأس المال الاستغلالى كل هذا يارسول الله ، كان اضوأ ما يكون فى رسالتك ، واجلى ما يكون فى هديك ومنهجك .

فعند ما أفاء الله عليك أموال بنى النضير ، نظرت فإذا بالمهاجرين الذين تركوا ديارهم ، أقل مالا من الانصار ، فدفعت بالفىء كله إلى المهاجرين لتحقيق بذلك التوازن المالى ، بين الفريقين اللذين كان يتألف منهما أول مجتمع اسلامى فى التاريخ .

ونزل القرآن بالحكم العادل الحاسم ، فى هذا التوزيع الهادف « كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم » .

ويمر عليك يارسول الله رجل فيرى أصحابك من جلده ونشاطه فى الكسب والارتزاق ، ماجعلهم يتحدثون فيه ، قالوا : يارسول الله لو كان هذا فى سبيل الله ؟ فقلت صلوات الله عليك :

إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج رياء ومفاخرة ، فهو فى سبيل الشيطان :

ذلك منطق النبيين ، ولحن المرسلين ، كل عمل مثمر فى الحياة ، فهو مقدس ، وهو فى سبيل الله .

وذلك دين القيمة ، لأنه دين العمل والبناء ، كما هو دين الروح والأخلاق .

فأكمل المؤمنين إيمانا كما تقول يارسول الله ، أحسنهم أخلاقا ، والله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغنى بها عن الناس ، ورحم الله امرأ سهل البيع ، سهل الأخذ ، سهل العطاء سهل التقاضى .

ثم تحيط هذا كله بالآدب الإجتماعى العالى ، أدب النفس المطمئنة الراضية فتقول لابن مسعود :

لا ترضين أحدا بسخط الله تعالى ؛ ولا تحمدن أحدا على فضل الله عز وجل ، ولا تذمن أحدا على مالم يؤتك الله تعالى ، فإن رزق الله تعالى لايسوقه إليك حرص حريص ، ولا يرده عنك كراهة كاره وإن الله تعالى بعد له وقسطه جعل الروح والفرح ، فى الرضا واليقين ، وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط .

أيها السادة :

إن البعث الأكبر الذى أطلقه الرئيس جمال عبد الناصر فى أفاق حياتنا ، فى حاجة إلى قوى روحية إيجابية نشطة ، تمشى مع خطوه . بإلهامها ونورها ، تسانده وتؤيده وتفتح له القلوب المؤمنة ، وتصوغ له الضمائر الحية ، وتصنع له العزمات القوية .

يجب أن نطلق التيار الروحى فى مصانعنا ومعاملنا وحقولنا ، وفى كل مجال من مجالاتنا ، حتى نشكل لمجتمعنا الحديث ، ملامح خلقية سامية ، كفاء نهضتنا البناءة الثائرة .

والمنهج الروحى الصوفى أيها السادة : ليس مجرد إقامة الشعائر ، وتأدية الفرائض وذكر الله فحسب ، بل كل نشاط حيوى للإنسان ، وكل عمل من أعماله الدنيوية ، تطهرت فيه النية ، واتجهت إلى الله ، فهو عمل تعبدى ، ومنهج صوفى .

إن الآداب الصوفية هى فى جوهرها وروحها ، آداب اشتراكية تعاونية ، فالتصوف محبة وإخاء وتعاون وتكافل ومساواة والتصوف هو التسامى نحو الكمال فى عبادة الله ، وفى الحياة .

فالعامل المتقن لعمله صوفى ، والموظف الأمين صوفى ، والجندى الفدائى صوفى والتاجر الصادق فى تجارته صوفى .

تلك هى رسالة التصوف ، قبل أن تتسلل إليه مواريث الرجعية . وذلك منهجه

الإيجابى ، الذى صاغ وصنع أمجاد العروبة والإسلام ، ودفع بهما إلى دورهما القيادى العالمى .

لقد عصم التصوف المجتمع الإسلامى من الأمراض النفسية التى تفتك بالبشرية ، وتدمر حياتها فهو الذى يطهر الفرد من أنانيته بكل توابعها من شهوات ونزوات وهو الذى يعصم النفس من الظلم والجشع ، والحقد والطمع ، ويصون المجتمع من سعار الاستغلال والاحتكار .

والتصوف أيها السادة : هو الوجه المنير للحضارة الإيمانية إنه يشكل ويصنع حضارة لا تخضع للغرائز ، ولا تسلم تيارها للشهوات ، ولا تسجد للشيطان ، ولا تتبع خطواته وفلسفاته .

ولقد استهدف الصوفية دائما خطو النبى وحياته ومنهجه وأخلاقياته وتتبعوه صلوات الله عليه ، وخواطره وفى خلواته ، وحركاته وسكناته ، وربطوا قلوبهم بقلبه فأصبحوا نماذج متلألئة فى الأفق المحمدى ، لا ينحرفون ولا يميلون ، ولا تتفرق بهم السبل .

ومن هنا كان حبهم لرسول الله أعظم من حب الناس كافة ، ولقد كانت رابعة العدوية تصلى ألف ركعة فى اليوم والليلة . فقيل لها ما تريدين بهذا ؟ قالت : لا أريد به ثوابا ، وإنما أفعله لكى يسر به رسول الله يوم القيامة . فيقول الأنبياء : انظروا هذا عمل امرأة من أمتى هذا عملها .

إن هدف التصوف أيها السادة ، هو إيجاد الإنسان الفاضل . والمجتمع الطاهر والانسانية الربانية السعيدة

إنه رسالة يجب أن يتكاتف المؤمنون على القيام بها ، وفتح الآفاق لأنوارها ، وكشف الحجب عن روحها .

يجب أن نضىء مصابيحها ، وأن تبرز مناهجها وأهدافها ، وأن نقدم زادها الروحى والخلقى والإيمانى للناس كافة ، ليجدوا فيها نجاتهم وعصمتهم .

سيدى يارسول الله :

على براق من القدرة الإلهية ، وعلى جناح من الرعاية الربانية ، ردت الوجود كله فاجتزت يوم معراجك عتبات الفضاء وصعدت إلى أقطار السماء ، ثم ارتفعت وسموت

إلى الآفاق العلى ، لتشهد من آيات ربك الكبرى ، ولتبصر العجائب العظمى ، وعند سدرة المنتهى ، وقف أمين السماء ، عند مكانه وقدره ، فما ينبغى لغيرك ، أن يرتفع ارتفاعك . وأن يسمو سموك ، وأن يطرق أبواب الأسرار ، وأن يشهد مطالع الأنوار ، وأن يتلقى من خالق الليل والنهار ، ما تلميت وما أوحى إليك به ، وما أحطت به علما وكشفا وذوقا .

ثم عدت من رحلة السماء يا رسول الله ، وقد امتلأت يداك ، بهبات الله وعطاياه لتفيض على الوجود كله ، ولتمنح البشرية كافة ، سرا علويا مقدسا من فضل الله ، هو فريضة الصلاة ، التى جعلها الله معراجا لكل مؤمن تسمو به صلاته إلى العرش فتدندن حوله مذكرة بصاحبها ، ثم تصعد إلى رب العرش فتناجيه وتخاطبه ، وتنعم برضاه وبرضاه .

سيدى يا رسول الله : لقد كان معراجك إيذانا للإنسانية ، وبلاغا للبشرية بأن آفاقا فسيحة جديدة فى عالم السموات ، قد فتحت أبوابها ، ومهدت طرقاتها لتكون مجالا من مجالات التطور الإنسانى ، وساحة من ساحات الامتداد والانطلاق فى الكون الفسيح ، الذى سخر كل مافيه للإنسان ، فكنت أنت يا رسول الله الرائد الأكبر للإنسانية فى كل ميدان من ميادين حياتها ، وفى كل أفق من آفاق وجودها ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

أيها السادة :

إن اليوم ، يوم الذكرى الخالدة ، ولو فقهت الإنسانية الجاحدة ، لاتخذتها عيدا عالميا ، واعتصمت بها صراطا مستقيما ، يهديها سبل السلام وينقذها من رجفات الرعب التى تحيط بها ، وصيحات الهول التى تخطف أنفاسها .

فلنتجه بقلوبنا وبمشاعرنا إلى صاحب الذكرى صلوات الله عليه ، ولنعاهده بقلوب مخبتة ، على أن نعيش أحرارا أقوياء ، أعزة بديننا وبرسالتنا .

إنه يوم الذكرى ، والذكرى تنفع المؤمنين ، يوم أشرقت الأرض بنور ربها ، وحلقت الملائكة فوق مكة وهضابها .

هناك فى المكان الطاهر المقدس . فى بيت عبد الله بن عبد المطلب ، فى فجر يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول فى عام الفيل ، أكرم الله

الإنسانية وأعزها فوهبها صفوة خلقه وأكرم عباده ، سيد الأنبياء وخاتم المرسلين سيدنا ومولانا محمد صلوات الله وسلامه عليه .

أيها السادة :

هنا من تلك البقعة الزكية الطاهرة التي شرفت بإحياء مولد الرسول . هنا حيث يجاب الدعاء ببركة محمد الأمين صلوات الله عليه ، نتجه إلى الله ضارعين منيبين ، أن يجنب الإنسانية النار الكبرى ، التي يوقد لهيبها ، ويشعل أوارها جبابرة عتاة ، نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، وأن يعيد للإسلام أيامه ، وللعروبة أمجادها .

وأن يشمل زعيمنا ومحررنا البطل المجاهد الرئيس جمال عبدالناصر بعونه ورعايته وأن يمن عليه بتوفيقه ونصره حتى يبلغ بأمة القرآن والرسول ، ما أوجب لها القرآن وما أحب لها الرسول .

وتحية للأبطال المجاهدين في الجزائر ، وللمناضلين المكافحين في تونس ، وللكماة الأباة المرابطين على حدود فلسطين . وللأحرار الثوار في كل مكان .

وصلوات الله وسلامه على صاحب الذكرى ، نبي الرحمة ، وإمام العالمين .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

الحقيقة المحمدية والعلم الحديث

حديث النور

تحية الحكمة فى ذكرى ميلاد النور المحمدى

للاستاذ حسنى طه شكيبان

الله نور السموات والأرض . . .

وهل فى الوجود كله غير أقباس النور السارية بقدر — فى الأرض وفى السموات — فى أنوار ظاهرة مستعلنة ، وأنوار خافية مستدقة على العقول تراها البصائر والأفئدة .

الله العلى فى ذاته ، الحكيم فى أفعاله ، سرى من قبضته الكون نوراً : فى ملكه وملكوته ، فى أرضه وسمواته ، فى ظاهره وباطنه ، فى مجاليه وتطوراته ، فى قديمه ومحدثه ، وإلى الأبد يمضى الوجود نوراً فيضاً من النور الكلى الأعظم (الله نور السموات والأرض) .

الله العظيم فى ذاته ، الرحمن فى صفاته ، الكريم فى فيوضاته ، تبدى لذاته فى أفعاله ، وتجلى بصفاته فى فيوضاته ، فصور الوجود فى ملك ظاهر وخفى ، وفى ملكوت لا تدركه الأبصار ، ولا تكاد تناله العقول ، والكل فى أحسن تصوير وأروع تقدير ، وأحاطه فى صورة الجمال بنور الرحمة السابغة ، فيضاً من الرحمن الرحيم ، وعطية كريمة من الغنى الحميد : نور السموات والأرض ، ورحمن الوجود وما فى الوجود (على الحقيقة) سواه . . . لأن الوجود ظلال رحمته . . . وأقباس نوره ، وآثار صنعته .

كان الله ولم يكن شىء غيره . . وهو على ما عليه كان . . .

نور على نور ، يهدى الله بنوره من يشاء . . .

نور تبدى لا بذاته ، وإنما ليرفع الأنظار لنوره الأسنى وليربط العقول بالصانع الحكيم ، وليرقى بالقلوب فى ساحات النور العظيم . . الله نور السموات والأرض .

وحيثما حلقت بالأبصار او بالبصائر فأنت أمام نورين . . نور الصورة ونور الحقيقة . . . نور الصورة فى الوجود الذى فاض من أنوار الحق الأعظم رب الوجود .

كل ذرة فى أنوار الوجود تناديك لا تغرك أنوار مفاضة عن النور الفياض ولا تخدعنك أنوار منعكسة عن النور ذى الجلال والبهاء ...

« إنما نحن فتنة فلا تكفر ... » إنما نحن صورة فلا تشغلنك بقلبك الذكى عن المصور الأعظم ذى الجلال والإكرام ... « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » .

اقباس أنوار الله فى الوجود ...

وفى رحلة النور نرقى من النور الفيض إلى النور الفياض ..

معرفة وحقيقة .. فى علم اليقين وأمام عين اليقين وفى نور حق اليقين بتوفيق الله نور السموات والأرض ...

فماذا ترى البصائر والأبصار ؟ ؟ ؟

كون لاحد له فى مرأى العيون ، ولا نهاية له فى أعين العلم ، ولا حافة له فى عين الحق .. كون حافته — الحقيقة — رحمة الرحمن ولا نهاية لرحمة الرحمن — وسعت رحمتى كل شىء .. ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلماً ...

كون فى أرض وأقمار وكواكب وشموس ونجوم وسدم ومجرات ... قد بلغ من السعة فى الأبصار — أبصار المراصد ١٠٠٠ ألف مليون سنة ضوئية ... وبلغ فى أعين العلم ٧٠ ألف مليون سنة ضوئية ، وفى اتساع مستمر لا يدرى العلم له تعليلا بمقاييسه — غير أنه يعلن : أننا نعيش فى كون لا ندرك له نهاية ، وفى تقدير عظيم لا ندرى معه غاية غير التسليم بالقوة العظمى التى أبدعت والقوة القاهرة التى دبرت ، والقوة الحكيمة التى تمضى بالوجود لغاياته ...

هذا هو كون الأبصار ... ترى هل هو كل الوجود ...

العلوم لا تدرى ، ولكنها تضيف معرفة يقينية من روائع التجربة تثبت أن هذا الكون السيار فى دقته ، والمشرق فى نجومه وشموسه . والمستضاء فى كواكبه وأقماره : مكون من عناصر مكونة من ذرات عجيب أمرها تحمل كل ذرة منها قوانين أكبر مجرة فى الفضاء ، وتخفى كل ذرة من الطاقة الكبرى ما يحير ويدهش ، وتتكون كل ذرة منها من كهرباء سارية فى الكون المادى كله ، تجمدت فى الكواكب ظاهراً وانطلقت فى الشموس ضياء وطاقة .. فما فى الكون المادى غير طاقة محتبسة وطاقة مشعة .. وكلتاهما من النور والضياء على الحقيقة ...

فهو كون من النور والضياء . . ولكنه ليس كل الوجود . . .

وهنا تنطلق أعين البصائر فى رحلة علوية فى الوجود لتشاهد آيات الحكيم فيه فى كون آخر من السموات فى أروع صورة ، وأجل نظام : أنوار من فوق أنوار ما تعرف عنها مقاييس العلم المادى صورة ، ولكنها فى مرأى البصائر شموس باهرة محيطة ... « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير ... ... الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت . . » « الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً » .

« خلق السموات بغير عمد ترونها » . « أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما »

نحن إذا أمام أكوان أخرى متسامية من رقائق المادة فى الكون المادى وإن لم نرها بأعين العلم ، ولكنها حقائق الطاقة المنطلقة ، وليست أحاديث الأشعة الكونية إلا دلائل ما يحيط بكون النور والضياء ، من رقائق هذا النور والضياء فى قوة خارقة وفى نفاذ بالغ ، وكلاهما كانا فى الأصل كيانا واحداً رتقاً ففلقهما فالق الإصباح والحب والنوى ، فتسامت السموات بغير عمد ، وتثاقلت النجوم والكواكب بقدر « كل فى فلك يسبحون » ومن النور بدأ كلاهما ، وعلى النور قام كلاهما فى منطق العلم ومقاييسه ... فإن كانت الأرض والكواكب نوراً فأحرى أن تكون السموات رقائق هذا النور الذى تسامى بطبيعته فوق كل حدس وتخمين ، وتبدى بحقيقته لأولى البصائر ، واستعلن بكيانه فى منطق كتاب الكون الأمين :

« الذى خلق سبع سموات طباقا » ، « رفع السموات بغير عمد ترونها » ، « الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن تنزل الأمر بينهن » .

الملك وملكوت الوجود الأعلى :

ومع جلال هذا الكون فى أراضيه ومستوياته السبع السفلى ، وفى سمواته ومستوياته السبع العليا ، وما بينهما فى أكوان — الله أعلم بها — « ويخلق مالا تعلمون »

إلا أنها من الكون المنشور لأجل مسمى ، المطوية فى يوم معلوم لتتبدل أكوانهما إلى صورة أخرى — الحى القيوم أعلم بها فى حكمة لا تتبدل ، وسنة لا تتغير ...

« يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات » ، والأرض جميعاً فى قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ، « يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب » .

ومرجع ذلك لحكمة الدوام على مايشاء الحق الأعظم « كما بدأنا أول خلق نعيده » فيعيده للنور الذى منه بدأ طاقات متشعة ، ويجمعه فى أنوار متعانقة « الله نور السموات والأرض » ، « فالق الحب والنوى » ، « فلن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا .

وذلك الملك غير الملكوت الأعلى الذى يأخذ صفة الدوام والخلود منحة من الحى القيوم ملكوت فى جنات وسعت السموات والأرض ، وفى كل جنة مائة درجة ما بين كل درجة ودرجة كما بين السموات والأرض رقياً وسمواً ، وعند جنة المأوى منها سدرة المنتهى ، ويحيط بالجنات كرسى العظمة ، ويحيط بالجميع عرش الرحمن « ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت » وسع كرسيه السموات والأرض » . « لا إله إلا هو رب العرش العظيم » ، وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » ، « خالدين فيها أبدا » ، « لا مقطوعة ولا ممنوعة » ذلك ملكوت الخلود يحيط به عرش الرحمن بدون كيف أو تصور من بعد ملك لا يحد ، تحكمه قوانين الحكمة المبدعة فى ستة أيام وأطوار لأجل مسمى ، كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعداً علينا إنا كنا فاعلين » .

فإن كان الملك من أنوار فى الكون المادى . ومن رقائق النور فى السموات السبع فكيف به فى الملكوت الأعلى ؟

« صنع الله الذى أتقن كل شىء » الله نور السموات والأرض .

قيمة الأكوان فى خلائقها :

ومع ما فى هذا الملك والملكوت من استجابة رائعة لرب الوجود : قال تعالى : « تسبح له السموات السبع والأرض » ، « ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض ، والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب . . . » .

« وإن من شىء إلا يسبح بحمده . . » ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض إئتيا طوعا أو كرها . . ؟ قالتا أتينا طائعين » .

مع ما فى هذه الأكوان من استجابة الطاعة والتسبيح بحمد فاطرها الأعظم . . .

إلا أن جمالها وروعتها فى خلائقها العاقلين الفاقهين حكمة الخلاق المتسامين بقلوبهم إلى حضرة الرحمن « فى مقعد صدق عندمليك مقتدر » .

ولأمر ما خلق خلائقها من روحه ودعاها إليه من عوالمها إلى حضرة قربه وتلك قصة الخلائق من بعد الأكوان .. أكوان النور والضياء ...

آدم والملائكة والجن :

(ا) من فيض أنوار رحمة الله جاء آدم صنعة الله المبدعة لذاته ، آية كبرى بين يديه وسراً أعظم للوجود كله ، ومفتاحاً كريماً لحكمة الله فى الأكوان ، وصورة رائعة لصفات الرحمن فى الوجود : « خلق الله آدم على صورته .. خلق الله آدم على صورة الرحمن » .

(ب) ومن فيض أنوار نعمته أقامه فى أكرم حقيقة ، وأجل كيان فى الوجود :

« لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم » .

(ج) ومن فيض أنوار حكمته ، خلع عليه جلال الخلافة عنه فى الملك ، وأحله منازل كرم فى الملكوت ، مخلوق الله لذاته فى أرضه وسمواته ، وضيفه الكريم فى جنانه ، وصفيه فى حضرته .

« إنى جاعل فى الأرض خليفة .. » « إن إلى ربك الرجعى » .

« والله يدعو إلى دار السلام ، ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ... » « إن المتقين فى جنات ونهر ، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر » « واتخذ الله إبراهيم خليلا » (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) . (لو كنت متخذاً غير ربى خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن » .

(د) ومن فيض أنوار علمه أطلعه على صورة الوجود ، وحكمة الوجود ، وأكرمه بنور المعرفة العليا دون خلائقه فى كل الوجود ؛ حتى جلست الملائكة يتلقون منه حكمة الله السارية فى كل الوجود .. (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال : أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . ؟ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا : إنك أنت العليم الحكيم . قال : يا آدم أنبئهم بأسمائهم ؛ فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض) .

(٥) ومن فيض أنوار روحه تفتح فينا روح الوجود ، ونور الخلود ، ونور التسامى والصعود من فوق كل الوجود . أصفياء مختارين لحضرته : (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة) (فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعين) .

(و) ومن فيض أنوار صفاته فطرنا ، صورة عليا على جماله الباهر :

(خلق الله آدم على صورة الرحمن ..) (ولكن كونوا ربانيين ..) .

(لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ..) (تخلقوا بأخلاق الله) .

(كونوا مثل أبيكم الذى فى السموات ، فإنه تشرق شمس على الطائعين والعاصين) .

(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (وداعياً إلى الله بإذنه وسراجا منيراً) .

(كان خلق رسول الله القرآن ..) (.. بالمؤمنين رءوف رحيم) .

(و) ومن فيض أنوار كرمه اختصنا الله بحضرته ، وأضافنا إلى ذاته ، ومنحنا أسرار الوجود ، وسخر لنا كل موجود ، فى ملك وملكوت ، من كل كائن من الجن فما دونهم إلى الملائكة فمن بمثلهم أو دونهم . . اختصنا بفيض ربوبيته الحانية عزة من لدنه فيضا علينا ، فانطلقنا عباده المصطفين الأخيار دون كل العالمين :

(صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة . ونحن له عابدون) (وأمرت لأن أكون أول المسلمين .) (فأنا أول العابدين) (وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون) .

« هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً . وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا » .

« تكاد السموات يتفطرن من فوقهن ، والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض » .

« أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » .

« فى مقعد صدق عند مليك مقتدر » .

(فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص

وخرين مقرنين فى الأصفاد . هـــذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) .

(ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه) .

(إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين) .

قام مستغنيا بذاته قبسا من نور الغنى الحميد : (إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى) .

هذا هو الإنسان مخلوق الله لذاته : من روح الله روحه ، ومن نور فيوضات الله وكرمه وعلمه كيانه وذاته ... الكل مخلوق من أجله وفى خدمته ، وهو اول العابدين فى حضرته .. وصاحب الفيض الأول فى جلوته .

(إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من طين ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ؛ فسجد الملائكة كلهم أجمعين) .

(للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) .

يتبع

حقيقة الحب عند الصوفية

للأستاذ محمد على الطعمى

يحتاج العبد إلى محبة الله ورسوله ، وليس هنالك شيء يعدل هذا الحب الذى لو صح واختلط بالمشاعر وامتزج بالقلب لأصبح العبد ربانيا يقول للشيء كن فيكون .

ومحبة الله ورسوله ليست دعوى بأطايب الحديث وعذب الكلام وجمال التعبير وإنما هى صفاء أى صفاء ينبع من وجدان حى متوثب ملهم ، فتنعكس عليه إشراقات وفتوحات من لدن حكيم خبير .

ومفهوم جداً أن محبة الله مرتبطة بمحبة رسوله — ومحبة رسوله مرتبطة بمحبة الله . لا تنفصم إحداهما عن الأخرى .

قال الله تعالى : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها ، أحب إليكم من الله ورسوله ، وجهاد فى سبيله ، فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين » وفى الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان فى قلبه ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود إلى الكفر ، كما يكره أن يقذف فى النار » .. فنى الآية والحديث أضيفت محبة الرسول إلى محبة الله ، وهذا نوع من أنواع الكمال لرسوله صلى الله عليه وسلم .

وآية هذا الحب أن يتجنب المسلم مزالق الهوى ، ومواطن الغرور ، ووسوسة الشيطان . ثم ينخرط قدما فى طهارة بدنية وروحية ، ويسلك برامج الدين الذى خططته الشريعة الغراء - فى إطارها المقدس الكريم ، وبذلك ينال الطالب مرتبة الحب

والغفران ، قال تعالى : قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » .

وللصوفية فى الحب ألوان وميادين ، فهم يرونه سكرا ليسيطر على النفس فلا تتبع الهوى - ولا تجنح إلى معصية ، ويرونه انتعاشا للقلب فيتعلق بذات الله - فلا يفيق ولا يستيقظ إلا على آهات وأذكار ودموع .

سئل الأستاذ عبد القادر الجيلانى عن المحبة فقال « هى تشويش فى القلوب يقع من المحبوب فتصير الدنيا عليه كحلقة خاتم - والحب سكر لا صحو معه (وسئل رضى الله عنه عن المحبين فأجاب) والمحبون سكارى لا يصحون إلا بمشاهدة محبوبهم . مرض لا يشفون إلا بملاحظة مطلوبهم ، حيارى لا يأنسون بغير مولاهم ولا يلهجون إلا بذكره ثم أنشد يقول :

وطا وردنا ماء مدين نستقى ... على ظمأ منا إلى منهل النجوى
نزلنا على حى كرام ضيوفهم ... مقدسة لا هند فيها ولا علوى
ولاحت لنا نار على البعد أضرمت ... وجدنا عليها من نحب ومن نهوى
سقانا فحيانا فأحيا نفوسنا ... وأسكرنا من خمر إجلاله عفوا
مدام عليها العهد ألا يذوقها ... سوى مخلص فى الحب خال من الدعوى
مزجنا بها التقوى لتقوى قلوبنا ... فيا من رأى خمرا يمازجها التقوى؟؟
فهمنا فهمنا فى مدامة وجدنا ... وسرنا نجر الزيل من سكرنا زهوا
شربنا فبحنا فاستبيحت دماؤنا ... أيقتل بواح بسر الذى يهوى ؟؟
وما السر فى الأحرار إلا وديعة ... ولكن إذا رق المدام فمن يقوى؟؟

ثم ما جزاء المحبين الذين أخلصوا ، والطائفين الذين أحسنوا ؟

لا شك أن جزاءهم الرضا من الله تعالى ، وأن يمنحهم فراديس الجنان ليكونوا فى صحبة الرسول والنبيين عليهم الصلاة والسلام .

حكى القرطبى فى تفسيره عن الثعلبى « أن الرسول عليه السلام رأى يوما خادمه « ثوبان » مصفر الوجه هزيل الجسم ، فقال له يا « ثوبان » ما غير لونك ؟؟ فقال

يارسول الله ، مالى ضر ولا وجع غير أنى إذا لم أرك اشتقت إليك ، واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ، ثم ذكرت يوم القيامة وأخاف ألا أراك هناك ، لأنى علمت أنك ترفع مع النبيين ، وإنى إن دخلت الجنة أكون فى منزلة أقل ، وأنا من شدة حبى لك ، لا أستطيع فراقك لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، فنزل قول الله تعالى « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » .

إن مرتبة الحب الخالص الصافى لله وللرسول قمينة بأن تجعل المؤمن الصادق فى معية النبى يوم القيامة .

وفقنا الله تعالى للعمل الصالح لكى نذوق ثمرة هذا الحب وإنه لشرف عظيم .

أثر المدنية الإسلامية فى تقدم الغرب ورقيه

للأستاذ جابر سيد الجزار

(٢)

تبينت يا أخى القارىء — فى العدد الماضى — كيف انتقلت المدنية الإسلامية إلى الغرب . . ومن اليوم — وفى الفصول التالية بتوفيق الله — سأتناول كلا من ألوان النشاط الفكرى والثقافى والفنى على حدة . . لكى ندرك مدى تأثير المسلمين الحضارى فى مدنية الغرب .

الفصل الأول : الرياضيات

فالثابت أن المسلمين تقدموا فى هذا الميدان تقدما ملموساً تشهد به آثارهم الواضحة فى مختلف فروع الرياضيات سواء — فى ذلك — الحساب أو الجبر أو الهندسة أو حساب المثلثات أو التكامل والتفاضل أو الميكانيكا — وقد ظهر — منهم — علماء مبرزون فيها — فى مقدمتهم : الخوارزمى ، وثابت بن قرة ، والبتانى ، والخازن وعمر الخيام — صاحب الرباعيات — ومسلمة المجريطى ، وابن السمح ، وابن الصفار والكرمانى ، وأمية بن أبى الصلت ، وابن البناء المراكشى . . . وغيرهم . . ممن كانت لهم جولات موفقة فى عالم الرياضيات .

وعما يلى سنتبين مدى تأثير هؤلاء الأعلام فى مختلف فروع الرياضيات التى أفاد منها الأوربيون . . .

١ — الحساب : وقد تقدم به المسلمون خطوات واسعة فأضافوا إلى معلومات الإغريق كثيرا من النظريات التى لم تعرفها أوربا من قبل . .

كما علموا الأوربيين « نظام الأعداد الجديد » الذى يمثل ثورة شاملة فى علم الحساب ومن مقارنة بسيطة بينه وبين « النظام العددى الرومانى » الذى كان سائدا فى ذلك الحين — يتضح لنا مدى تسهيل « النظام العددى الجديد » — الذى أخذه الأوربيون عن المسلمين — للعمليات الحسابية .

فهذا « النظام العددى الجديد » يمكن — فيه — أن تتغير قيمة الرقم الواحد حسب وضعه : فى خانة الآحاد أو العشرات أو المئات أو الألوف . . . الخ بينما « النظام العددى الرومانى » لا تتغير فيه قيمة الرقم بتغير خانته . . فرقم « ٥ » — الرومانى — لا يمكن أن يعنى « ٥٠ » أو « ٥٠٠ » أو « ٥٠٠٠ » ... الخ . مهما اختلف وضعه . والأرقام الرمانية هى : " I = ١ ، V = ٥ ، X = ١٠ ، L = ٥٠ ، C = ١٠٠ ، D = ٥٠٠ ، M = ١٠٠٠ " . .

فإذا أردنا أن نكتب « ٤ » — مثلا — فعلينا بتكرار الواحد — « I » — أربع مرات هكذا : "IIII" ؛ وإذا أردنا كتابة « ٩ » تكتب خمسة - "V" - ويجوارها الواحد - "I" - مكرر أربع مرات هكذا : " IIIIV " ؛ وإذا أردنا كتابة « ٢٠ » تكتب العشرة - "X" - مرتين هكذا : "XX" ؛ وإذا أردنا - مثلا أن نكتب العدد « ٤٩٤ » بتلك الأرقام الرومانية فإنه يكتب على هذا الوضع : "CCCCLXXXXIIII" . . . وهكذا . .

وعلى ضوء هذه الأمثلة يمكننا تصور مدى التعقيد الذى يلحق العمليات الحسابية - من ضرب وقسمة وجمع وطرح - من جراء استخدام ذلك « النظام العددى الرومانى » ولا سيما الأعداد الكبيرة المكونة من خمسة أو ستة أو سبعة أرقام فى القسمة المطولة والجداول الرياضية والمعادلات . .

لقد كون المسلمون سلسلتين من الأرقام عرفت إحداهما « بالأرقام الهندية » وهى التى نستعملها فى بلادنا وأكثر الأقطار العربية والإسلامية . .

وعرفت الثانية « بالأرقام الغبارية » وانتشر استعمالها فى المغرب والأندلس ومنها عرفها الأوربيون فاستعملوها وعرفت عندهم باسم « الأرقام العربية » . وإن النظام الذى نتبعه الآن فى الترقيم مبنى على أساس القيم الوضعية وبواسطته يمكن ترقيم جميع الأعداد وإجراء العمليات الحسابية فى سهولة ويسر . . ولقد بقيت الأمم فى القرون الخالية محرومة من هذا النظام فكانوا يجدون صعوبة ومشقة فى إجراء العمليات التى أصبحت - فى تلك الأيام - من السهولة بمكان . .

ولو قدر لأحد الرياضيين اليونان أن يبعث فقد يعجب من كل جديد ولكن عجبه سيكون على أشد حين يرى أكثر سكان الأقطار فى أوربا وأمريكا يتقنون عمليتى الضرب والقسمة وما عداها ويجرونها بلا ماعناء - ومرجع هذا - ولا شك -

للباحثين والعلماء المسلمين الذين عرف منهم الأوربيون - وسائر الغرب - « الأرقام العربية » التى لم يتمكنوا من استخدامها فى العمليات الحسابية إلا بعد انقضاء عدة قرون من اطلاعهم عليها - فلم يعم استعمالها إلا بعد نهاية القرن السادس عشر الميلادى :

ويكفينا فضلا وفخراً أننا - نحن المسلمين - علمنا الاوربيين هذه الطريقة الجديدة فرحمناهم - بذلك - من تعقيد « النظام العددى الرومانى » العقيم. ويقر كثير من المنصفين - من علماء الغرب - بأن من أكبر مآثر المسلمين على العالم هو ذلك « النظام العددى الجديد » إذ لولا مؤلفات المسلمين فى الحساب لما عرف الناس الأرقام - ولما قدروا فوائدها ومزاياها وقد تعددت مؤلفات المسلمين التى اقتبس منها الفرنسيون فى علم الحساب - فقد كتب « البيرونى » رسالة هامة فى الأعداد ونسبها ، كما شرح « اليعقوبى » - فى تاريخه - « نظام الأعداد الجديدة - وما قاله : ووضع التسعة أحرف التى يخرج منها جميع الحساب الذى لا يدرك معرفتها وهى : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ فالأول منها واحد وهو عشرة ومائة وألف ومائة ألف . . الخ . وعلى هذا الحساب يجرى التسعة أحرف فصاعدا غير أن بيت الواحد معروف من العشرة وكذلك بيت العشرة معروف من المائة وكذلك كل بيت - « خانة » - وإذا خلا بيت منها يجعل فيه الصفر - ويكون الصفر دارة صغيرة » اه .

وهنا نجد « اليعقوبى » يشير إلى رمز حسابى جديد هو « الصفر » الذى يعتبر من أخطر المبادىء الحسابية التى اهتدى إليها العقل البشرى فى الرياضيات - ولم يعرف الغربيون استعمال (الصفر) إلا عن المسلمين فى القرن الثانى عشر حتى قال (أير) : إن فكرة (الصفر) تعتبر من أعظم الهدايا العلمية التى قدمها المسلمون إلى غرب أوربا . . والواقع أن العرب استخدموا لفظ (صفر) للدلالة على (لا شىء) منذ العصر الجاهلى كما يبدو من البيت التالى الذى جاء فى قصيدة الحاتم .

ترى إن ما أهلكت لم يكن ضرنى وإن يدى مما بخلت به صفر

وفى القرن الثامن الميلادى استخدم المسلمون (الصفر) فى الحساب فرسموه على هيئة حلقة « ٥ » ثم شرح (الخوارزمى) كيفية استعماله فى بحث له كان الأول من حيث الترتيب والتبويب والمادة ، وقد ترجمه (إدلارد الباثى) فى الربع الأول من القرن الثانى عشر باسم Algoritmi de unmro Indorom وهو أول كتاب دخل أوربا وقد بقى زمنا طويلا مرجعاً هاماً للبحوث الحسابية .

وهكذا تلقى الأوربيون (نظام الاعداد الجديد) و (الصفر) مقرونين باسم

« الخوارزمى » الذى حور اسمه فى اللاتينية إلى : Algorismus ثم اختصر بعد ذلك إلى لفظ : Augorismo الذى أصبح علما على « النظام العددى الجديد » مما يشهد بأن الأوربيين تعلموا الحساب عن كتاب (الخوارزمى) وعن الكتب الأخرى التى أخذت عنه مثل كتاب : Garmen de Algorismo الذى وضعه (إسكندر دى فلادى) حوالى سنة ١٢٢٠ م. وكذا كتاب : Algorismus Vulgaris الذى وضعه (حنا الهالفسكى) حوالى سنة ١٢٥٠ - وكلا هذين الكتابين مبنى على كتاب (الخوارزمى) فى الحساب كما أنهما - إلى جانبه - قد استمر مرجعا لتلقين الحساب - عدة قرون - فى أوربا يقول (ديورانت) : (وما لبث لفظ الجورثم أو الجورسم أن أصبح معناه طريقة حسابية تقوم على العدية العشرية - وفى عام ٩٧٦ قال محمد ابن أحمد فى (مفاتيح العلوم) : (إنه إذا لم يظهر فى العمليات الحسابية رقم فى مكان العشرات وجب أن توضع دائرة صغيرة لمساواة الصفوف) وسمى العرب هذه الدائرة (صفرا) أى خالية ومنها اشتقت الكلمة الإنجليزية «Cipher» وحور اللاشين لفظ : «Sift» إلى «Zephyrum» ثم اختصره الطليان إلى «Zero» اه .

وما زالت اللغة الإنجليزية - حتى اليوم - تستخدم لفظ «Algorithm» وهو تحريف لاسم (الخوارزمى) للتعبير عن الطريقة الوضعية فى حل المسائل وكذلك اللفظ الأوربى : «Cipher» مأخوذ عن اللفظ العربى (صفر) وهو يعنى - أيضاً - باللغات الأوربية (لا شىء أو عديم القيمة) - واستخدم مارتن لوثر هذا اللفظ للتعبير عن ضعف الأساقفة أمام البابا فقال : (إنهم كالأصفار) ولا يخفى أنه استعار المعنى العربى للدلالة على كلمة (صفر) وفى القرن السادس عشر استخدم اللفظ الأوربى السابق للدلالة على الكتابة الغامضة أو الشفرة «Chiffre» كما استخدم لفظ « Zero» للدلالة على (لا شىء) .

هذا وفى كتاب الجبر والمقابلة (للخوارزمى) نجد الحاشية التالية تعليقاً على قيمة « ط » .

(وهو تقريب لا تحقيق - ولا يقف أحد على حقيقة ذلك ولا يعلم دورها إلا الله لأن الخط ليس بمستقيم فيوقف على حقيقته وإنما قيل ذلك تقريب كما قيل فى جذر الأصم إنه تقريب لا تحقيق لأن جذره لا يعلمه إلا الله . .) اه .

ونرى من هذه الحاشية أن (ط) كمية صماء وأن قطر الدائرة ومحيطها كميتان غير

مشتركتين أو متباينتين وهذا مالم يكشف إلا فى القرن السادس عشر بينما هذه الحاشية سبقت ذلك الكشف بأربعة قرون .

وليس (البيرونى) أو (الخوارزمى) هما الوحيدان - بين العلماء المسلمين - اللذان بحثا فى علم الحساب ووضعا أصوله وقوانينه فهذا (الحسن بن الهيثم) قد أعطى قوانينا صحيحة لمساحات الكرة ، والهرم ، والأسطوانة المائلة ، والقطاع الدائر ، والقطعة الدائرية كما عالج موضوعات رياضية تتعلق بالاعداد وخصائصها ونظرياتها وهذا ثابت بن قرة أول من بحث - بعد الصينيين ، فى المربعات السحرية وخصائصها كما أوجد قانونا لإيجاد الاعداد المتحابة وله مقالة فيها وهى استنباط عربى يدل على قوة الابتكار التى امتاز بها العلماء المسلمون أمثال (ثابت) .

كذلك « ابن البناء المراكشى » أحد العلماء المسلمين المبرزين فى تاريخ تقدم العلم فقد كان عالما مثمرا أخرج ما يزيد على ٧٠ كتابا ورسالة فى العدد والحساب وغيرها من فروع الرياضيات . وقد نقل الغربيون القليل . الذى عثروا عليه من مؤلفاته . إلى لغاتهم . وتجلى لهم - منها - فضله على بعض البحوث والنظريات فى الحساب وسائر الرياضيات .

وقد قامت شهرته على كتابه - المعروف - « تلخيص أعمال الحساب » الذى يعد من أشهر مؤلفاته وأنفسها والذى بقى معمولا به حتى نهاية القرن السادس عشر كما حاز اهتمام علماء القرنين التاسع عشر والعشرين . . ويعترف « سميث » و« سارطون» بأنه من أحسن الكتب التى ظهرت فى الحساب » .

والكتاب يحوى بحوثا مختلفة تمكن « ابن البناء » من جعلها - على الرغم من صعوبة بعضها - قريبة التناول والمأخذ - فقد أوضح النظريات العويصة والقواعد المستعصية إيضاحا لم يسبق إليه فلا تجد فيها التواء ولا تعقيدا - وقد اشتمل على بحوث مستفيضة عن الكسور - وقواعد لجمع مربعات الأعداد ومكعباتها » وقاعده الخطأين لحل معادلات ذات الدرجة الأولى والأعمال الحسابية » كما أن فيه - أيضا - طرقا لإيجاد القيم التقريبية للجذور الصماء . . فلقد ضم قيما تقريبية للجذور التربيعية لبعض المقادير . . كانت موضع دهشة العلماء الرياضيين وإعجابهم . . كما أن هناك قيما أخرى - تقريبية للجذور التكعيبية - لمقادير جبرية أخرى - وهذه العمليات - بالإضافة إلى عمليات « القلصاوى » - أبانت طرقا لبيان الجذور الصماء بكسور متسلسلة .

وقد عزم «ووبكه» - العالم الرياضى الشهير - أن ينقل محتويات كتاب «التلخيص»

إلى الفرنسية ولكن حال موته دون إتمامه . . وأخيرا ترجمه « أريستيرما إلى الفرنسية فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر .

ويقتضينا الواجب أن نشير إلى أن بعض علماء الغرب قد أغاروا على الكتاب المذكور وأدعوه لأنفسهم ونقلوا عنه دون الإشارة إليه كمصدر وكان الرياضى الفرنسى الشهير « شال » أول من أشار إلى ذلك فى رسالة قدمها إلى المجمع العلمى فى أوائل النصف الثانى من القرن التاسع عشر . . « ولابن البناء » - أيضا من مؤلفاته فى علم الحساب - رسالة باسم « مقالات فى الحساب » وهى تبحث فى الأعداد الصحيحة والكسور والجذور والتناسب وكذا كتاب « تنبيه الالباب » ورسالة فى الجذور الصماء وجمعها وطرحها » وكذلك له رسائل خاصة بالتناسب ومسائل الإرث .

يقول ابن « خلدون » فى معرض الحديث عن علوم الحساب - : ومن أحسن التأليف المبسوطة فيها - ولذلك العهد - بالمغرب كتاب « الحصار الصغيرة » ولابن البناء المراكشى » فيه تلخيص » ضابط لقوانين أعماله مفيد ثم شرحه بكتاب سماه « رفع الحجاب » وهو مستغلق على المبتدىء بما فيه من القوانين الوثيقة المبانى - وهو كتاب جليل القدر أدركنا المشيخة تعظمه وهو كتاب جدير بذلك - وإنما جاء الاستغلاق عن طريق البرهان بيان علوم العليم لأن مسائلها وأعمالها واضحة كلها - وإذا قصد شرحها فإنما هو إعطاء العلل فى تلك الأعمال - وفى ذلك من العسر على الفهم ما لا يوجد فى أعمال المسائل . . » ا . هـ .

وكذلك « القلصاوى » - فإلى جانب عملياته التى أبانت طرقا لبيان الجذر الصماء بجذور متسلسلة - له - أيضاً شرحان لكتاب « تلخيص أعمال الحساب » « للحراكشى » أحدهما كبير والآخر صغير . وقد زاد على شرحه الكبير خاتمة تبحث فى الأعداد التامة والزائدة والناقصة . وهو أول من أكثر من استعمال الرموز « وطريقة فى إيجاد الجذور التربيعى بالتقريب كانت أساسا لفكرة الكسور المتسلسلة . . وقدوضع المسلمون - كذلك - شرطة الكسر بين الصورة والمخرج - « البسط والمقام » - وتبعا لذلك وضعوا العدد الصحيح على يسار الكسر . . وقد كان الهنود يصنعون العدد الصحيح والبسط والمقام تحت بعضهما فى عمود واحد .

ولا يخفى - بعد ذلك - ما لهذه الجهود من أثر فى تقدم علم الحساب وتيسير تناوله ؟

آداب الطريق

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

الأستاذ بدار المعلمات بالزمالك

(٦)

إن مزيدا من العقد والمشكلات النفسية تحتاج كثيرا من النفوس ، وإن الهزات العاطفية والوجدانية ، والاضطرابات الاجتماعية والاقتصادية تؤثر تأثيرا كبيرا ، فى كثير ممن ينقصهم الاستعداد لتلقى هذه المشكلات وحلها ، وقد يلجأ البعض إلى الانتحار كوسيلة ناجحة للتخلص مما ينتابه من ألم وضيق ، وقد يلجأ البعض إلى التخريب والتدمير كتعبير عما يحس به من قلق ، أو تنفيس عما يساوره من وساوس وأحاسيس .

وينصح علماء النفس أصحاب هذه المشكلات بالتروى وضبط النفس ، وعن طريق الدراسات المختلفة يحاولون وضع علاج لهذه الأمراض .

ولكن الدواء الوحيد سبق إليه الصوفية من قديم . ولا نتخطى الصواب حين نرى أن فكرة التسليم لقضاء الله ، واللجوء إليه والتوكل عليه ، وتفويض الأمر له ، والصبر أمام الشدائد ، وقهر دواعى النفس من حقد وحسد وغيرة هى الأساس السليم الذى تمكن الصوفية به من إقامة مجتمع سليم خال من التعقيد والمشكلات النفسية .

وحقا ذلك . فليست هذه المشكلات ناشئة فى الأصل — إذا فتشنا — إلا عن كارثة مالية أو صدمة عاطفية أو مشكلة عائلية أو إحساس بالظلم . وكلها سهلة الحل إذا اعتقد الإنسان اعتقاداً راسخا أن حكمته وتجاربه وعقله الراسخ لا يجدى شيئا أمام قضاء الله وقدره .

وقديماً سأل صاحب كليلة ودمنة — على لسان الجرذ — خليلته الحمامة المطوقة : كيف وقعت فى هذه الورطة وأنت من الأكياس ؟ فأجابت : ألا يعلم أنه مامن شىء

من الخير والشر إلا وهو مقدور على من تصيبه المقادير ؟ وهى التى أوقعتنى فى هذه الورطة . فقد لا يمتنع من القدر من هو أقوى منى وأعظم أمراً ، وقد تنكسف الشمس والقمر إذا قضى عليهما ذلك .

وقد دأب القرآن الكريم على أن يذكرنا بذلك . فهو القائل : « وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة . وسبحان الله وتعالى عما يشركون » .

وهو القائل « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ، هو مولانا ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون » وهو القائل « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمه وأولئك هم المهتدون » .

ولم يكتف الصوفية فى حل هذه المشكلات بمجرد العلم ، ولكنهم استعانوا على حلها بتربية الإرادة عمليا . وسلكوا فى ذلك طريق ترويض النفس ومخالفتها ، ووصفوا منهجا دقيقا ، ينصحون فيه بالسياحة لاكتساب التجارب ، والعزلة لتربية النفس ، والصمت لتقوية الإرادة ، والجوع لقمع الشهوة وتغليب الروح ، ومداومة الذكر لاستحضار الهيبة وحصول الأنس بالله وغير ذلك مما يتناسب وحالة المريد حتى ينتصر فى جهاده .

والصوفية فيما بينهم قد حلوا مشكلة الفراغ حلا معقولا ، وأشرت إلى ذلك فيما سبق ، وأضيف . أنه الآن رغم جهد المفكرين وعلماء التربية والاجتماع فى وضع البرامج الواسعة ، ليستفيد الطلبة والطالبات فى أوقات فراغهم ، واعدادهم لذلك النوادى الرياضية والثقافية والمعسكرات الصيفية والمنظمات المختلفة ، إلا أننا لا نزال نرى الطرق تعج بالمتسكعين ، الشواطىء تموج بالشبان الرقعاء الذين لا هم لهم إلا المجون والخلاعة وقتل الأخلاق ، وما أكثر ما نرى ونسمع ونقرأ ! وما خفى كان أعظم ! وليس هذا عيب المناهج الموضوعة ، ولكنه عيب النفوس التى لم تتشبع بعد بالمبادىء الكريمة التى تهدف إليها هذه المشروعات ، ولم تتفاعل مع الحيوية الدافقة التى تسرى مع تيار هذه النهضة المباركة .

أما الصوفية فإنهم يشكون قلة الفراغ ، وليس لديهم متسع من الوقت ، فكل دقيقة من حياتهم لها حساب ، وكل وقت له حقوق .

إن أعقد المشكلات فى نظر الناس جميعا هى الجهل وقد استعان القادة المفكرون

بكل الوسائل التى تمحو هذا العار من المجتمع . فسخروا وسائل الإعلام وفتحوا المدارس وعمموا التعليم وجعلوه مجاناً وإجبارياً فى بعض مراحله وحاربوا الجهل بين الكبار ، ونجحت كثير من الدول فى القضاء على الأمية . فماذا أفاد العلم وانتشاره هل خفف من ويلات الإنسانية ؟ هل هذب العلم من ضراوة النفوس ووحشيتها ؟ هل نظم العلم المجتمع تنظيما يكفل له الحياة الرغدة السعيدة التى لا فرق فيها بين سيد أو قوى وضعيف أو أبيض وأسود ؟ هل حد العلم من جشع المستعمرين وسيطرة المستغلين وعدوان الظالمين ؟ .

كلا لقد نجح العلم فى وقتنا هذا فى خلق مدنية حديثة تسيطر عليها المادة سيطرة كاملة ، وتحل الآلة فيها مكان الكائن الحى فى كثير من الأحيان . تجعل للعقل السلطان النافذ عليها . ولكن أين مكان الروح فى العلم الحديث ؟ أبدا لم يحقق العلم شيئا للجوانب الروحية ولذلك ترى ما ترى . لقد أصبح العلم سلاحا فتاكا فى يد الأقوياء فخلقوا منه الدمار ، ونشروا به الذعر وروعوا به الآمنين ؛ واعتدوا به على الضعفاء والأبرياء .

لقد خلق العلم مشاكل وجدد مذاهب وولد نزعات خير منها الجهل . أجل فليست الوجودية والشيوعية والتيارات الإلحادية إلا وليدة فلسفات فتح العلم أبوابها ولم يغلقها ، وعصفت تلك التيارات المتطرفة فى طريقها بالأخلاق وقوضت المثل ، وعما قريب تقوض ما شيده العلم من حضارات .

وما العلاج إذن ؟ هل تغلق المدارس ونحطم المكتبات وننادى بعدم التعلم ؟ كلا . ولكننا نستأنس بنظرة الصوفية إلى العلم .

العلم فى نظر الصوفية وسيلة إلى تهذيب الناس والأرواح وكل علم لا يهدف إلى هذا فلا فائدة فيه .

يدعو الصوفية إلى التعليم ، ليدرك المتعلم من ورائه حقيقة وجوده ، ويعرف قيمة روحة ، ويرى من نافذة عقله وروحه مبدع الوجود ورب الكائنات ، ولذلك امتزجت مناهج التعليم فى نظرهم بالأخلاق ، فهى الوسيلة لاكتساب المعارف بحقيقتها لقوله تعالى : « واتقوا الله ويعلمكم الله » ، ومصداقا لقوله عليه الصلاة السلام : « تعلموا العلم وتعلموا له السكينة والحلم » ، « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » ، وكانت للعلم ثمار هى الورع والخشية التى تحقق قوله تعالى « إنما يخشى الله من عباده

العلماء ، وكانت خشية العلماء التواضع ، وكلما ازداد العالم علما أدرك أنه لم ينل شيئا من العلم ، وليس هذا غريبا ، فهو يؤكد قول أحد الفلاسفة القدماء « أدركت حقيقة واحدة هى أننى لا أعلم شيئا » وسئل القاضى عياض عن العلم فقال : هو الجهل ، وترجم أحد العارفين عن هذا المعنى بقوله :

عجزت — أجل — عن درك سر وجودى وجهلت حتى صار جهلى شهودى

العلم فى نظر الصوفيه هو ما هداك إلى الله لاما أبعدك عنه ، وإذن فالعلم فى رأيهم خلق محض ، وتهذيب مطلق ، ويستوى فى ذلك النظرى منه والعملى ، فهم لا يمنعون العلوم الحديثة بفروعها المختلفة طالما كان الهدف من وراثها إدراك سر الوجود ، واستنباط الدليل على القدرة الإلهية المبدعة التى تدعونا « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » وتنادى « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » ولا تفتأ تقول بين آن وآخر « إنما يتذكر أولو الألباب » .

والذى يتهم الصوفية بالجمود فى ذلك غير منصف لهم ، فالصوفية فى منتهى الجرأة ولعلهم أول ناس وجهوا أنظارهم إلى السماء وأفلاكها باحثين عن الحقيقة المجردة وأدركوا من وراء ذلك أسرارا ربما يمر على الباحثين أجيال طويلة قبل أن يدركوها وإنما هداهم إليها الفطرة السليمة ، والنظرة الثاقبة والرغبة الصادقة فى معرفة واجب الوجود .

يتبع

حياك الله من مصلح عظيم ومرشد حكيم

للأستاذ عبد الرحيم مصطفى الفوال

أستاذنا الكبير صاحب السماحة شيخ مشايخ الطرق الصوفية وصاحب « مجلة الإسلام والتصوف » الغراء — السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد .

فقد أثلج صدرى وأقر عينى مقالكم الكريم فى افتتاح العدد الثالث من السنة الرابعة المؤرخ ١٩ من صفر سنة ١٣٨١هـ بعنوان ، (يجب أن نوفر للذاهب إلى بيت الله عناية أكبر ورعاية أتم) .

سيدى : لقد منّ الله الكريم علىّ بالذهاب إلى بيته الحرام (أكثر من مرة) وكم كان يحز فى نفسى كثيراً ما شاهدته كل مرة (من المصريين والمصريات فقط) :

١ — من الجهل الفاضح بأحكام الطهارة والعبادات وأداء المناسك وعدم قبول الكثير منهم للنصح والإرشاد .

٢ — كثرة المشاغبات والشتائم والخلافات فيما بينهم لأوهى الأسباب .

٣ — سوء المعاملات فى البيع والشراء حتى وفى أثمان الأغذية (مما جعل لهم سمعة سيئة) .

٤ — كثرة الإيذاء والشتائم والتعدى على خدم المطوفين ومساعديهم .

٥ — حدوث بعض السرقات لأمتعة الحجاج وأغذيتهم عند غيابهم .

وقد شاهدت (امرأة من المصريات) تقود مجموعة من زميلاتها وقد تشابكن بأذرعتهن حتى وصلن إلى (الحجر الأسود) لتقبيله عنوة وعنفاً ، وهنا تقدمت

هذه الزعيمة الآثمة وأزاحت الرجال بيديها وبجسمها وبأجسام زميلاتها حتى قمن بتقبيل (الحجر) ولم يجد معهن أى نصح .

كما سمعت سنة ١٩٥٩م أن إحدى الحاجات فاضت روحها وماتت بسبب مزاحمتها لتقبيل (الحجر الأسود) وكذلك شاهدت امرأة من فتوات القاهرة جمعت عددا وفيراً من النساء عند (باب زيادة) داخل الحرم وأخذت تحدى لهن العبارات المحرفة المنكرة رافعة صوتها وهن يرددن كلامها دون وعى رافعات أصواتهن أيضاً .

كل هذا وأكثر من هذا دعانى إلى التفكير مليا لعلاج بعض هذه الأحوال الشاذة ثم حررت عدة خطابات (إلى إدارة الوعظ — ووزارة الداخلية — ووزارة الأوقاف) وطلبت إليها أن تعمل على تحصين الحجاج والحاجات دينيا وثقافيا (مع تحصنهم صحياً) — واقترحت اقتراحا سهلا ميسورا جدا — وذلك بأن يقوم السادة وعاظ المراكز . وكل إمام بالمساجد بجمع الراغبين فى أداء الحج ويعلمونهم الطهارة والوضوء والصلاة الصحيحة وكيفية أداء مناسك الحج والآداب الدينية التى يجب أن يفقهوها قبل سفرهم لأداء هذه الفريضة . ولكنى ترقبت موسم الحج الأخير لأرى ما عساه أن تكون هذه الجهات قد قامت به نحو هذا الاقتراح الواجب تنفيذه فلم أر شيئا ،ولم يقم كل منهم بعمل أى شىء . وسافر الحجاج جهلاء متعجرفون ليمثلوا بلادنا أسوأ تمثيل فى هذا المؤتمر الإسلامى العظيم وأمام المهذبين المتفقهين من غيرهم من الشعوب الإسلامية الأخرى .

هذا وإنى ياصاحب السماحة — أرجوا أيضا أن تتفضلوا بعمل إيجابى فى عدم التصريح للنسوة بالحج إلا إذا رافقهن ذو محرم كأب أو أخ أو زوج . حتى تمنع هذه الشرور والمفاسد والمشاغبات وسوء السمعة ممن تكتفى الحكومة بأن يوافق زوجها على سفرها وحدها ؛ — والله أسأل أن يؤيد بمجهوداتكم الدين وأن يرفع على يديكم منار الإسلام .

إسلام أبو ذر

غفار قبيلة من قبائل العرب ، كانت تقيم فى سهل من الأرض منبسط ، على الطريق الواضح بين مكة والشام ، وهناك كانت منازلها وخيامها ، ومراعى جمالها ، ومسارح أغنامها ، تتخلله العيون ، وينبت فيه النخيل ، وتمتلىء أرضه بالعشب والكلأ ، ولهذا كان مقاما طيباً ، ومنزلا كريماً لأهل مكة ، حينما كانوا يمرون فى طريقهم للتجارة بالشام ، ذاهبين أو عائدين ، ويمكثون ليلة أو ليلتين ، يريحون أجسامهم المتعبة ، ويسقون دوابهم الظمأى ، ويتزودون بتمر غفار ثم يستأنفون المسير .

وكان أبو ذر زعيم غفار ، وصاحب الرأى الأول فيها ، يستشيرونه فى أمورهم ويحتكمون إليه فى مشاكلهم ، وكان أبو ذر يرحل إلى مكة بين الحين والحين ، للتجارة أو الحج ، أو لسماع الشعر فى سوق عكاظ ، ويمضى فى مكة أياماً ثم يعود ، فإذا خلا بنفسه تدور فى عقله خواطر : ما هذه الأحجار التى نصبتها قريش فى جوف الكعبة واتخذت منها آلهة أو قربى لله ؟ ما نفعها الذى يمكن أن تؤديه ؟ وما سرها الذى تنطوى عليه ؟ وهؤلاء رجال قريش ، إنهم أذكياء عقلاء ، كيف ساغ عندهم أن يصنعوا هذه الأصنام بأيديهم ، ثم يسجدوا لها بجباههم ، ويقولوا : إنها تقربهم إلى الله زلفى ! أهم على حق أم على ضلال ؟ وإذا كانوا على ضلال فيما أرى فما الحق فى الدين ؟ وهكذا يمضى أبو ذر فى خواطره وتساؤله ، ثم لا يلبث أن يشغل بمراعيه وإبله ، وشجره ونخيله ، ويشترك فى الأمور التى تشغل غيره من الناس .

وفى صيف أحد الأعوام نزل بغفار رجال من مكة ، فى طريقهم إلى الشام ، شأنهم فى كل عام ، وربطوا رواحلهم ، ونصبوا خيامهم ، وضمهم مع أبى ذر وأخيه أنيس ليل مقمر ، رق فيه النسم واعتدل . واحلولى الحديث وطاب السمر ، وأخذوا جميعا فى أفانين الكلام . . .

قال أبو ذر . هل من طريف جديد فى الأخبار ؟ إنكم أهل مكة ، ملتقى العرب وعاصمة الحجاز ومجمع العرب فى المواسم .

قال قائل منهم : قد والله تركنا مكة ، ولاشىء يشغل أذهان بنيها ، ويملأ سوامرها ونواديها أكثر من أمر محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ، لقد جاء فيها بدين جديد ، يزعم

أنه جاء به من السماء ، وأنه كلف إعلانه وتبليغه الناس ، يقول : إن هناك إلهاً واحداً لا يستحق العبادة غيره ، وأنه رسول هذا الإله إلى الناس كافة ، ومكث مدة يدعو إلى ذلك سراً ولا يفضى به إلا لخاصته وذوى قرباه .

فاستجاب له نفر قليل ، ولكنه فى هذا العام وقف على جبل أبى قبيس ، ودعا إليه علانية وجهاراً ، ولقى فى ذلك إيذاء ، ولقى أصحابه كيداً وتعذيباً . . .

قال أبو ذر — وقد أنصت بقلبه إلى هذا الحديث ، وكأنه هز نفسه هزاً عنيفاً : وهذه الأصنام التى تحيط بالكعبة ، وتملأ رحاب البيت الحرام ماحديث صاحب الدين الجديد عنها ؟ وما رأيه فيها ؟ قال الرجل : إنه قد دعا فى صراحة إلى تحطيمها ، ونبذها وجهل من يعبدها أو يتقرب بها ، بأقوال لم تعرفها العرب من قبل ، وجراءة جلبت له العداء . . . وسكت الرجل قليلا ثم عاد يقول : ولقد كنت أود لقاءه ، وأعرف عنه حقيقة دينه ، وأسمع شيئا من الكتاب الذى يزعم أنه جاء به من عند الله ، ولكننى — ولا أخفى عليكم من أمرى شيئا — خفت الكبار من رجال قريش ، خفت أبا لهب ، وأبا جهل ، وخفت غيرهما ، ممن وقفوا لمحمد موقف العداء ، وآذوا كل من يتصل به من قريب أو بعيد ، وكل من يؤمن بدعوته سرا أو علانية .

ثم انتقلوا إلى احاديث أخرى شرقوا فيها وغربوا ، وأقلوا وأكثروا ، حتى فرق بينهم النعاس . . .

ولم يكد يتنفس الصباح حتى دعا أبو ذر أخاه ، وقال له : يا أنيس ، لا يأتى عليك الغد حتى تكون فى مكة ، وأنظر إلى أمر هذا الرجل ، ولا تدخر جهدا فى معرفة حقيقة دعوته ، وعد بما ترى .

وغاب أنيس أياما وعاد يقول : لقد جاهدت يا أخى فى سبيل أن ألقى محمدا ، ولكنى فشلت فيما حاولت ، ومكة الآن لم أعرفها من قبل ، ورجال قريش يخشون أن يظهر أمره . أو يسمع العرب بدعوته ، فوقفوا جميعا يحاولون إطفاء دينه وإخفاء أمره ، وفى هذا السبيل أخذوا يؤذونه ويؤذون أصحابه ، ويمنعون الناس — وخاصة الغرباء — من لقائه ، وهو ما زال فى قلة من أنصاره ، ونفر قليل من رجاله . . على أنى سمعت من بعض أتباعه شيئا عن دينه الجديد ، أنه فوق مايدعو إليه من عبادة إله واحد ، يدعو إلى الخير والمعروف ، وينهى عن الشر والإيذاء ، ويحث على البر وإطعام الفقير والمسكين ، وسمعت منه كلاما ألقاه عليهم ، لم أسمع أحسن منه لفظا ، ولا أجمل أسلوبا ، هز مشاعرى وملأ صدرى روعة وإعجابا .

قال أبو ذر : أو هذا كل ما جئتنى به ؟ لا تسكن نفسى — والله — حتى ألقاه .

وتزود أبو ذر بطعامه ، وحمل قربة مائه ، ورحل إلى مكة ، وذهب إلى المسجد ، ولكنه لم يلق محمداً ، وخاف أن يسأل عنه فيصد أو يؤذى ، ثم أخذ يطوف مكة ودروبها وطرقاتها ، بعينين زائغتين ، ووجه حائر ، حتى أدركه المغيب ، فجلس وأسند ظهره إلى جدار المسجد ، ومر به على بن أبى طالب ، وتفرس وجهه وقامته ، فإذا هو رجل طويل أسمر نحيف ، لم يره من قبل ، فقال على : لعل الرجل غريب ؟ قال أبو ذر نعم . قال : هل لك أن تذهب معى إلى المنزل لأضيفك ؟ قال : جزيت خيراً وصحبه على إلى المنزل ، وأطعمه وحدثه ، ولكن واحداً لا يسأل الثانى عن شىء ، لم يسأله على جريا على عادة العرب ألا يسأل الرجل ضيفه إلا بعد ثلاثة أيام ، ولم يسأله أبو ذر خشية أن يكون صاحبه من رجال قريش ، وممن يكرهون أن يعرف أحد من العرب عن أمر محمد شيئا . . .

وفى صباح اليوم التالى خرج أبو ذر إلى المسجد ، وظل يطوف حوله ، وفى الطريق المؤدية إليه ، ولكنه لم يلق محمداً ، ولم يجترىء أن يسأل عنه أحداً ، حتى أدركه المغيب ، ونال منه التعب ، فجلس ، وأسند ظهره إلى جدار المسجد ، مجلسه الأول ، ومر به على بن أبى طالب ، فقال : هل للرجل أن يعرف منزله بالأمس ، قال أبو ذر نعم ، وجوزيت خيراً . . .

وفى الليلة الثالثة ، وقبل أن يأوى أبو ذر إلى فراشه ، قال على : ألا تخبرنى يا أخا العرب عن أمرك ، وما الذى أقدمك ؟ يخيل لى أنك صاحب حاجة ، وأنك ما جئت لمكة إلا فى مهم ، ولعلى معينك على ما قصدت . . .

قال أبو ذر : وكأنه أطمأن إلى على ، وأستروح بحديثه : إن اعطيتنى عهداً وميثاقا لترشدنى أخذتك ، قال على : قل ولا تخش شيئا ، قال : إنى قدمت إلى مكة لألقى صاحب الدين الجديد ، فقد سمعت عنه ما رغبنى فيه ، وقد علمت ما يدعو إليه من ترك الأصنام ونبذها ، وإن فى نفسى شيئا منها منذ زمن بعيد ، فإن كنت ممن تبعه فإنى أرجو أن تدلنى عليه ، وإن كنت ممن يخالفه ؟ فاكتم على أمرى . . . قال على : إنه محمد بن عبد الله وهو ابن عمى ، وقد آمنت به وصدقته ، والله إنه على حق فيما جاء به يعرف ذلك من دخل فى دينه ، واستمع إلى ما يتلوه من كتاب ، فإذا أصبحت فاتبعنى فإن رأيت شيئا أخافه عليك وقفت كأنى أصلح نعلى علامة لك أن تقف خلفى ، وإذا رأيتنى مضيت . فامض خلفى .

ولقى أبو ذر محمداً ، واستمع للقرآن ، وشرح الله صدره للإسلام ، ولكن رسول الله قال له : ارجع إلى قومك ، وادعهم إلى ما دعوتك إليه وترقب حتى يأتيك أمرى ، واحذر على نفسك من رجال قريش .

قال أبو ذر : والله لأحرضن بها فى مجامعهم ، وخرج حتى كان فى وسط مكة ونادى بأعلى صوته ، شهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فقاموا إليه وضربوه حتى أوجعوه .. فجاء إليهم العباس عم رسول الله : وقال : ويلكم ! ماذا دهاكم ! أما علمتم أنه سيد غفار ، وغفار طريق تجارتكم إلى الشام ؟ ونقذه منهم ؛ وذهب أبو ذر ودعا قومه للإسلام فآمنوا جميعهم ، وقطع طريق قريش فى تجارتها مع الشام.

ولكن قريشا ذهبت إلى محمد ، ورجته أن يدعو أبا ذر كيلا يقف دون تجارتهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كريما مسماحا ، فأرسل إلى أبى ذر ألا يقف دون تجارتهم ، وأن كلمة الله ستعلو ، ولا بد أن تخضع قريش بعد ذلك للإسلام وتدعن ، قريبا ذلك اليوم أو بعيداً .

وظل أبو ذر فى قومه حتى كانت هجرة رسول الله إلى المدينة ، فوفد عليه هناك وقومه ، فقربه الرسول وأدناه ، وكان عنده نعم الصاحب الكريم .

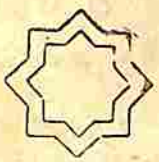

احتفالات وكلاء المشيخة العامة

بالمولد النبوى الشريف

أرسل إلينا عدد كبير من السادة وكلاء المشيخة العامة تقاريرهم المفصلة عن احتفالاتهم بذكرى المولد النبوى الشريف مع وصف كامل لنظام حفلهم وما ألقى فيه من كلمات وعظات .

وسننشر بإذن الله هذه التقارير كاملة بالعدد القادم من مجلة الإسلام والتصوف

والمجلة ترجو من السادة الوكلاء الذين لم يرسلوا إليها تقاريرهم . أن يتفضلوا بإرسالها فورا حتى تتمكن المجلة من نشرها فى عددها القادم .

أعاد الله هذه الذكرى الكريمة الخالدة على العالمين العربى والإسلامي باليمن والخير والقوة والعزة .

فهرس العـــدد

الموضوع	الكاتب	الصفحة
ملهمات يوم الذكرى	لسماحة السيد محمد علوان	٣
نجم أحمد	للأستاذ طه عبد الباقى سرور	٨
من أدب الإسلام	للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة	١٢
الخطوط الكبرى	للدكتور محمد خلف الله أحمد	١٥
المناجاة العطائية	للأستاذ أبو الوفاء التفتازانى	١٩
إيمان ذى النون ورابعة	للأستاذ عبد السلام الكوبرة	٢١
الصلوات لله	للزعيم الهندى مولاى محمد على	٢٣
القرآن والحديد	للدكتور محمد وصفى	٢٧
فضائل الأمة المحمدية	لحجة الإسلام الغزالى	٣٠
اشتراكيتنا مؤمنة لا ملحدة	الأستاذ سعيد مكرم المحامى	٣٢
الدين والحياة	للأستاذ حامد الزفرى	٣٦
نساء صوفيات	للأستاذ فوزى عرفة	٤١
احتفالات المولد النبوى	تحرير المجلة	٤٧
الرسالة الكبرى	لسماحة السيد محمد علوان	٤٩
الحقيقة المحمدية	للأستاذ حسنى شكيبان	٥٦
حقيقة الحب عند الصوفية	للأستاذ محمد على الطعمى	٦٣
أثر المدنية الإسلامية	للأستاذ جابر الجزار	٦٥
آداب الطريق	للأستاذ عبد الحفيظ القرنى	٧١
حول مقالات الحج	للأستاذ عبد الرحيم الفوال	٧٥
إسلام أبو ذر	تحرير المجلة	٧٧